الفصل السابع

أخلاقيات المهن والحرف

يشتمل هذا الفصل على :

* مقدمة .
* نية العمل .
* تجنب النجش .
* الصدق .
* تجنب الغش .
* تجنب الحلف .
* تجنب الاحتكار للسلعة .
* الوفاء بالكيل والميزان .
* اتقاء الشبهات .
* الوفاء بالعهد .
* السماحة فى البيع والشراء وإنظار المعسر .
* التطوع بالعمل بدون أجر فى ظروف خاصة .
* الأمانة .
* تجنب أكل أموال الناس بالباطل .
* تجنب المنابذة والملامسة .
* تجنب المزابنة .
* شروط البيع والشراء .
* مراعاة الوقت ودقته .
* مراقبة الله فى العمل .
* الإتقان .
* الشعور بالمسئولية .
* العمل التعاونى

obeikandi.com

obeikandl.com

أخلاقيات المهن والحرف

مقدمة :

المبادئ والأخلاق الإسلامية منها ما هو عام يعتنقها كل مسلم ، ومنها ماورد مخصصا لنشاط معين يعتنقها المسلم الذى يزاول النشاط . والأخلاق هى جوهر الإسلام وروحه السارية فى جميع نواحيه ، والرسول ﷺ هو « النموذج الأعلى لهذه الأخلاق» (١) ، وقد وصفه الخالق عز وجل بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم] فلم يكن « بفظ ولاغليظ ولاسخاب فى الأسواق »(٢).

إن الأخلاق تحتل بصفة عامة مكانه مهمة فى تكوين شخصية المسلم مها كانت مهنته أو حرفته ، ويكفى أن نذكر هنا قول الرسول ﷺ : « إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً » (٣).

ولقد كانت الأخلاق من السمات الأساسية للمجتمع الإسلامى ، فهى الترجمة العملية للدين الإسلامى ؛ لأن الإسلام « يربط الأخلاق بالدين ويعتبرها الجانب العملى التطبيقى للدين »(٤).

ومما تجدر الإشاره إليه أن « القرآن أصل الأخلاق الإسلامية » (٥). والأخلاق بهذا المعنى خروج من عبودية النفس ، والاتجاه إلى الخالق سبحانه وتعالى خروج من الرغبة فى شىء مادى إلى الرغبة فى رضاء الله سبحانه وتعالى ، كذلك فإن « موضوع القيم الأخلاقية فى الإسلام هو علاقة الإنسان بربه ومجتمعه وبالكون الذى يعيش فيه ، ونظرته إلى نفسه وإلى الآخرين وإلى سلوكه ، وإلى مكانته فى المجتمع بأنظمته وعلاقاته بماضيه وحاضره ومستقبله »(٦).

« ويخطئ الكثيرون حين يعالجون موضوع الإنتاج منفصلاً عن تصور الإنسان لحياته ودوره فيها ، وكيفية تناوله لوسائل عيشه وأسباب رزقه » (٧) ، وذلك أن دور

---

(١) محمود السيد سلطان : مفاهيم تربوية فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٩٠ .

(٢) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص ٨٧ .

(٣) المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ١٦ (باب حسن الخلق)

(٤) عمر التومى الشيبانى : فلسفة التربية الإسلامية ، الطبعة الأولى ، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس ، ١٩٧٥ م ، ص ٢٣ .

(٥) أحمد فؤاد الأهوانى : التربية فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١١ .

(٦) محمد الهادى عفيفى : فى أصول التربية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٤ م ، ص ٣٧٧ .

(٧) أحمد محمد العسال ، فتحى عبد الكريم : النظام الاقتصادى فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٢٧ .

الأخلاق وتأثيرها فى دفع الطاقة الإنسانية وتقديمها لأحسن ما عندها أمر لاخلاف عليه.

« والقيم الأخلاقية فى الإسلام هى نتاج طبيعى للإيمان ؛ لأن قيم الصدق والجهاد والكرم وإنظار المعسر لايمكن أن تكون لها قيمة فى عزلة عن الإيمان » (١) .

إن « مجال الأخلاق فى الإسلام هو مجال الحياة كلها ، فالأخلاق الإسلامية فى علاقتها بالبناء الاجتماعى جاءت وفقا للمقومات البشرية المشتركة فى صورة مبادئ كلية عامة ، تقبل التفريع والتطبيق فى الجزئيات المتجددة والأصـول المتغيرة دون أن تفارق أصول الحياة الإنسانية وجوانبها المختلفة،وتحمل فى مضمونها عناصر التطور والتقدم » (٢).

ويشمل النظام الأخلاقى فى الإسلام أخلاقا نظرية وأخرى عملية،فقد حث الإسلام على ربط القول بالعمل والنظرية بالتطبيق ، كما فى قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** (٣٣) ﴾[فصلت] .

وفى موضع أخر : ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ** (٤٤) ﴾[البقرة] .

« والقيم الأخلاقية قيم أساسية لانستطيع الاستغناء عنها ؛ إذ إنها من صلب الدين الذى ندين به فى مجتمعنا العربى وهو الدين الإسلامى الحنيف ، ولكى يكون لها دور واضح يجب ربطها بالواقع الذى نعيش فيه حتى يؤمن الأفراد بقيمتها العملية إلى جانب إيمانهم بقيمتها النظرية » (٣).

«وينتج عن اتصال الأخلاق بالواقع الذى يعيش فيه الإنسان أنها لاتصبح قاعدة من القواعد التى يجب أن تطبق دون تفكير ، وإنما دخول التفكير وقيامه بعملية في ميدانها هو الذى يعطيها قيمة أخلاقية ، وبذلك يستطيع الإنسان أن يحدد مواطن الصعاب التى تعترضه والتى تواجهه ، وأن يحدد المساوئ والشرور التى يصادفها ، وأن يصل إلى طرق تؤدى إلى القضاء عليها » (٤) بما لا يتعارض وقيمه الأخلاقية .

الأخلاقيات والمهن والحرف :

أثبتت الدراسات الاجتماعية المقارنة والدراسات الاقتصادية أن أخلاقيات المجتمع وسلوكياته لها أثر كبير على شكل النظام وعلى نوع التنمية الناتجة عن هذه السلوكيات ،

---

(١) جابر قميحة : المدخل إلى القيم الإسلامية ، دار الكتاب المصرى ، القاهرة ، ١٩٨٤ ص ١٣٠ .

(٢) سيد قطب : نحو مجتمع إسلامى ، دار الشروق ، القاهرة ،١٩٨٣ ، ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٣) حسن قطب الجلادى : تنمية بعض القيم الأخلاقية عند التلاميذ فى مرحلة التعليم الأساسى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم أصول التربية ، كلية التربية ، جامعة المنصورة ، ١٩٨٨ ، ص ٣٩ .

(٤) محمد لبيب النجيحى : فلسفة التربية ، الطبعة الثانية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ٢٥٩ .

وقد أصبح من الأمور التى لاشك فيها أن النظام العام لأى مجتمع ، ينبثق انبثاقاً من المنهج الأخلاقى لحياة الأمة وسلوكها ونظرتها العامة ، وبالتالى فإن التنمية تتأثر تأثراً مباشراً بأخلاقيات المجتمع ، فليست التنمية مجرد اختيار منهج من مناهج الفكر ، أو اختيار نظام معين من الأنظمة السائدة ، وإنما التنمية فى حقيقتها عبارة عن تفاعل الأمة بكاملها وتحريك جميع طاقاتها لتحقيق أهداف وغايات التنمية ، الأمر الذى لايتم ولايحصل البتة إلا بتبنى منهج وغايات وخطط وأسلوب ، لا يتعارض مع أخلاقيات المجتمع وفلسفته ونظرته العامة للحياة والكون والإنسان والخالق جل جلاله ؛ ولهذا كان من المهم دراسة أخلاقيات المجتمع لمعرفة مدى انسجامها أو تعارضها مع مستلزمات التنمية [١]. وفى مجال التنمية الاقتصادية أكدت عدة كتابات على ضرورة جعل ما كان يعامل معاملة الثوابت كمتغيرات عند دراسة تطور المجتمعات وأحد هذه الثوابت الأخلاقية ، ومن هؤلاء (أ . هيجن) إذ يقرر : أن الانتقال إلى مرحلة النمو الاقتصادى يصحبها تغييرات سياسية واجتماعية أساسية ،وترجع أسباب ذلك إلى القوى التى تؤثر فى جوانب متعددة من السلوك الإنسانى [٢].

إن التنمية الاقتصادية عملية معقدة متعددة الجوانب وتحتاج إلى معالجة شاملة ، غير أن أحد جوانبها الأساسية هو القيم الأخلاقية التى تسود المجتمع ، والفضائل التى أجمع علماء الأخلاق عليها تؤدى إلى خلق ظروف أفضل لتنمية أسرع .

والإسلام بما حواه من مكارم الأخلاق يدفع فى هذا الاتجاه بشرط الإيمان بهذه القيم [٣].

ويظهر تأثير القيمة الأخلاقية على المتغيرات الاقتصادية المواتية لعملية التنمية الاقتصادية :

تكوين رأس المال :

إن الاعتدال فى الأنماط الاستهلاكية والحفاظ على النعمة مهما كانت إمكانيات الفرد كبيرة ، لابد وأن تجعل الميل الجدى للاستهلاك أقل من نظيره فى المجتمعات التى لاتتبنى هذه القيمة ، ومن ثم فإن مايترك لأغراض الادخار والاستثمار لابد وأن يكون

---

(١) سلطان أبوعلى: « الأخلاق والتنمية » أبحاث ندوة « إسهام الفكر الإسلامى فى الاقتصاد المعاصر » التى نظمتها جامعة الأزهر (مركز صالح عبد الله كامل للأبحاث والدراسات التجارية والإسلامية ، والمعهد العالمى للفكر الإسلامى « واشنطن » فى الفترة من ٦ ـ ٩ سبتمبر ، ١٩٨٨، منشورات المعهد العالمى للفكر الإسلامى » ص ٥٦٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٥٥ . نقلا عن :

E . Ehagen : on the theary of social chonge; How Economic Growth Begins porsey , Press, 1962 , P.35 .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٥٧ .

أكبر ، ومن ثم تمول التنمية بدرجة أكبر من الموارد الذاتية .

زيادة الإنتاج :

يرتبط بعلاقة مباشرة بالعمل وإتقانه وكذلك بالانتفاع بالزمن ، والشجاعة والاحترام تدفع إلى إدخال الموارد الجديدة فى دائرة الاستغلال بدلاً من تركها عاطلة ، وكل هذا يؤدى إلى زيادة الإنتاج ، أو بمعنى آخر فإن زيادة تحلى أفراد المجتمع بفضائل الأخلاق يؤدى إلى رفع إنتاجية عوامل الإنتاج المختلفة .

عدالة التوزيع :

إن عدالة التوزيع تجعل أفراد المجتمع يسهمون بدرجة أكبر فى إنمائه نتيجة لشعورهم بالانتماء إليه والإفادة من ثماره ، وقيمة العدل والتعاون هى خير ما يدفع الأفراد ذاتياً نحو تحقيق مزيد من العدالة فى المجتمع .

تنفيذ السياسات اللازمة :

لقد أظهرت تجارب القيم أن النجاح فى تحقيق هذا الهدف لايعتمد على مجرد الاكتفاء بوضع الخطط بل فى حالات كثيرة ، فإن تجارب التخطيط لم تكن مرضية بدرجة كافية وذلك لسببين :

أولاً : أن الخطط لم تحقق تطلعات أفراد الشعب التى حوتها هذه الخطط .

ثانياً : تسبب الأخطاء التى تراكمت فى ظل غياب قوى التصحيح .

ومن ثم تصبح هناك حاجة إلى اتباع سياسات تصحيحية فى مجال السياسات المختلفة ، مثل إصلاح الاختلالات السعرية ، وربط الأجر بالإنتاج ، واستعادة التكلفة الاستثمارية من تسعير الخدمات الأساسية مع تجنب التضخم الجامح(١).

« ومثل هذه السياسات غير شعبية ولاتطبق إلا بصعوبة مالم يكن هناك صدق ومصداقية بين الحكومة والشعب ، ومن هنا تبرز أهمية الصدق كسلوك أخلاقى يحكم أفراد المجتمع . ويتضح من هذا أن الالتزام بهذه القيم الأخلاقية يدفع عجلة التنمية بدرجة أسرع عن حالات غيابها ، وحيث إن هذه القيم متضمنة فى الإسلام فإن التأكيد عليها يؤدى إلى تحقيق التنمية الاقتصادية ، والاجتماعية بفاعلية أكبر . ومعنى التأكيد عليها فى المفهوم الإسلامى أن تقر فى القلب وأن يصدقها العمل»(٢).

إن حديث علماء المسلمين عن الأخلاق والقيم ليبين إدراكهم« أن الأخلاق عنصر

---

(١) المرجع السابق ص ٥٥٦ نقلا عن :

W.C.Baum and S.M topbiert; Investing in Development,. oxford university . press, 1985.

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٥٦ .

أساسى للتنمية ، فهى تسمو بالإنسان ، وتحمى فاعلياته وإنجازاته ، فحاجة التنمية إلى القيم أمر مؤكد ؛ نظراً لأن القيم الخلقية تعتبر عنصراً جوهرياً لاستقطاب أى نشاط مشترك منتج لتسمو به فوق الحاجة الوقتية والمنفعة والمصلحة الشخصية ،واتجاهات الحياة اليومية ، وهى من ناحية أخرى تحمى شبكة العلاقات الاجتماعية ، وهى ضرورية لجهود التنمية الصحيحة . وكلما حدث إخلال بالقانون الخلقى فى مجتمع معين ، حدث تمزق فى شبكة العلاقات الاجتماعية التى تتيح له أن يصنع تاريخه ، فهى إذن من أهم وسائل بعث الطاقة الروحية الخيرة لدى الأفراد ، للانتصار على أنفسهم والتفاعل مع البيئة بما فيها ومن فيها ، فضلا عن أنها تساعد على بلورة الرؤية الحضارية ، وتوضح غاياتها فى استخدام الأشياء ، وهذا مما يساعد على نجاح جهود التنمية ، ودفعها فى الطريق الصحيح .

والإسلام يحتوى على تعليمات أخلاقية ، وبناء أخلاقى متكامل يمتاز بالحيوية القائمة على التفاعل بين الإنسان وبين تلك القواعد الأخلاقية الإسلامية ، تظهر فاعليتها فى مجال التنمية الإسلامية فى تحقيق الأهداف ، وفى حماية منجزات المجتمع الإسلامى ، والفرد فى المجتمع الإسلامى من الانهيار والانحلال والتسيب ، فهى ضابط للجهد التنموى المبذول ، تضبط إيقاعه ، وتحوله إلى فعالية حقيقية وواقع يحقق للناس سعادة الدنيا والآخرة » (١).

وهكذا اهتمت أدبيات التربية الإسلامية بالعنصر الأخلاقى في تكوين شخصية المسلم بحيث لايخلو كتاب منها من الحديث عن أخلاق (الطالب والمعلم) .

ومن ثم فالمهنى أو الحرفى المسلم إنما يستمد أخلاقه من أخلاق هذا الدين عامة غير أن كتب الحسبة بالذات قد ركزت بحوار تلك الدعوة الأخلاقية العامة على بعض الجوانب المهمة فى حياة الحرفى اليومية (٢).

فقد تحدث الشيرزى عن الحسبة وأحكامها بادئاً بتعريفها أنها « أمراً بمعروف ، ونهياً عن منكر ، وإصلاحاً بين الناس» (٣).

قال تعالى : ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** (١٠٤) ﴾[آل عمران]. والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ليس بقاصر على ولاة الحسبة وإنما ساعدهم فى ذلك شيوخ الطوائف المهنية أو العمالية فى المجتمع المسلم .ويطول الحديث لو ذهبنا ننقل من كتب الحسبة ما ورد فى شأن

(١) على خليل أبو العينين : التربية الإسلامية والتنمية ، مرجع سابق ، ص ٥٨ .

(٢) عبد الرحمن النقيب : « مدخل لدارسة الاتجاه الحرفى والمهنى فى التربية الإسلامية » بحوث فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٣٠ .

(٣) عبد الرحمن الشيرزى : « نهاية الرتبة فى طلب الحسبة » ، مرجع سابق ، ص ٦ .

أخلاقيات المهن والحرف ؛ ولذا نكتفى بالإشارة هنا إلى القليل منها .

يقول الشيرزى : « جميع أرباب الحرف أمثال السباكين والرخامين والطلائين وصناع الأقفال وغيرهم الذين يعقدون اتفاقاً ، ويتقاضون تأمينا أو (عربوناً) مقابل القيام بأى جزء من أجزاء العمل ، فينبغى عليهم ألا يتخلوا عن هذا الجزء من العمل ، لتأدية عمل آخر قبل أن ينجزوا العمل الأول » (١) ، كذلك لابد من مراعاة « العناية والمهارة فى عملهم » (٢) ، كذلك « لابد من مراعاة ساعات العمل إذا كان باليومية . فقد يوافق أكثر الصناع على أجرة معلومة كل يوم فيتأخرون عند الغد وينصرفون قبل المساء » (٣) ، وإن جرى فيما يعمله العامل زيغ أو ميل أو انحراف عن الاستواء لزمه عيب ذلك وفساده حتى يعود صحيحا مستقيماً ، وذلك مثل « من لم يستعمل من يبنى من الصناع ما يصحح به عمله من زوايا وموازين وخيوط » (٤).

ويقول ابن الإخوة فى الذى يمارس الفصادة : « ينبغى ألا يتصدى للفصد إلا من اشتهرت معرفته وأمانته وجودة علمه بتشريح الأعضاء والعروق والعضل والشرايين وأحاط بمعرفتها وكيفيتها ؛ لئلا يقع المبضع فى عروق غير مقصودة أو عضلة أوشريان فيؤدى إلى زمانة العضو وهلاك المفصود » (٥).

ورجل الحرفة أوالمهنة مطالب بأن يتحلى بالأمانة فى عمله وعدم الغش والتدليس فى صنعته،فالنحاسون والحدادون مثلاً «لايجوز لهم إذا اشتروا قطعة نحاس فيها لحامات إلا أن يُطلع المشترى عليها ، وإذا كانت مما يبيض فيأمرهم أن ينقشوا عليها عتيق ملحوم بقلم غليظ حتى يعرفه المشترى ويدخل على بصيرته ،فإن أخفاه ولم يطلعه عليه كان غاشا ،فإن اطلع بعد ذلك المشترى عليه ، ثبت له الرد وعزره المحتسب على غشه» (٦).

ولقد تناول علماء المسلمين أمثال الشيرزى وابن الإخوة وغيرهم أخلاقيات كل مهنة أو حرفة على حدة فى كتب الحسبة ، فذكر ابن الإخوة سبعين باباً فى الحسبة على مهن وحرف مختلفة ، وقد تناول أخلاقيات كل منها ، أما عبد الرحمن الشيرزى ، فقد ذكر أربعين باباً يشتمل على تفاصيل فى أمور الحسبة .

كما وضع بعض العلماء عدة قواعد يجب مراعاتها قبل الدخول فى المهنة ، إنها قواعد أخلاقية يجب مراعاتها بشدة إذا ما أردنا تنمية إسلامية صحيحة ، تنمية إسلامية تستهدف الإنسان أولاً وأخيراً وليس تنمية رأسمالية تؤدى إلى مجتمعات استهلاكية

---

(١) عبد الرحمن الشيرزى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، مرجع سابق ، ص ١٧٤ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٧٥ .
(٣) ابن الإخوة : معالم القربة فى أحكام الحسبة ، مرجع سابق ، ص ٢٣٤ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٢٣٥ .
(٥) المرجع السابق ، ص ١٥٩ .
(٦) المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

فارغة. وهذه القواعد تعتبر آداباً تتعلق بالمهن والحرف ،وقد أصبحت تقاليد لها أصولها، وهذه « وثيقة تاريخية » تبين كيف يدخل العامل فى الصنعة ملتزماً بآداب العمل ، وكيف يشد على حزام الصنعة ليدخل فيها ويكون جميع الحاضرين جالسين على ركبهم مطرقى الرءوس ، ثم يطلب النقيب من العامل قراءة الفاتحة ثم يذكر النبى ﷺ ويتلو الفاتحة مرة ثانية،وبعد أن يفرغ منها يسلم النقيب سبعة سلامات سلام على الحاضرين ، وسلام على أهل الحرفة وشيوخها ، وسلام على الميمنة ، وسلام على الميسرة ، وسلام على السادة ، وسلام على الأصحاب ، وسلام على الأحباب. ثم يلتفت إلى العامل ويقول له : أوصيك يا أخى يا من تخاوى وتعاهد بأداء الفروض ورعاية العهد،ويشهد عليك الحفظة،وسيكتب من يضيعه من المبعدين ،أى بنى ، إن جميع الحرف أهلها أمناء على الأعراض والأرواح والأموال ، فكن صديقاً أميناً ، واعلم أن كارك مثل عرضك حافظ عليه بكل ما تملك ، وإذا استلمت أموال الناس فلاتفرط بها ، وإياك أن تخون أهل الحرفة، والخائن مسئول ، ويدخل العامل بعد ذلك فى الحرفة [1].

« والنهوض بالمهنة ليست مسئوليته وحده ، بل كانت نقابات المهن أيضاً مسئولة عن مستوى المهنة ، بحيث يستطيع العميل أن يتقدم بالشكوى إلى النقيب فى حالة محاولة العامل خداعه ، أو قيامه بالعمل بصورة ظاهرة النقص والعيب،والأساتذة والأسطوات يحددون مستوى الصنعة وأجورها المناسبة فى حالات الخلاف » [2].

إن للعمل أخلاقيات وسلوكاً يجب أن تقترن فيه ؛ لأنه مصداق الإيمان ومعيار الثواب والعقاب ،وأن يرتفع العامل على أن يكون الغاية من عمله تحصيل الأجر والمكافأة . بل ينبغى أن يكون المقصد الأول مرضاة الله وخدمة الأمة .

وهذا أمر التزمه المسلمون أولاً فصلحت أعمالهم وخلدت على الزمن آثارهم فى مجالات العمل ،ولنضرب مثلاً على ذلك هذه المساجد المبنية ، والقصور العامرة ، والمسجد الأقصى عندنا ، وقد استغرق بناؤه سبع سنوات ، ولايستطيع عمال أن ينجزوه فى هذه الفترة القصيرة مع تقدم التقنية والمخترعات والهندسة.

« وآداب العمل مع التقوى حددها الإسلام وحرص عليها المسلمون والتصقت بأعمالهم فى الفترات الزاهية التى سيطر فيها الإسلام على القلوب والأعمال واقترن فيها العمل بالإيمان » [3].

---

(١) جمال البنا : تعميق حاسة العمل فى المجتمع الإسلامى ،مطبعة مصر ، القاهرة ،١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م ، ص ٣٨ .

(٢) السيد الشحات أحمد حسن : « تعليم الصنائع » الفكر التربوى العربى الإسلامى ، الأصول والمبدئ ، مرجع سابق ، ص ٨٧٧ .

(٣) عبد العزيز الخياط : نظرة الإسلام للعمل وأثره فى التنمية ، مرجع سابق ، ص ٢١ ، ٢٢ .

وبهذا المنظور نرى ما خلفه المسلمون من آثار . فى عمارة أوفنون بكل ألوانها إذ نرى تخطيطاً فى الفكر وإتقاناً فى التنفيذ وروعة فى الأداء « ولعل فى مهندسنا المعمارى المسلم (سنان) الذى عاش فى القرن الحادى عشر الهجرى وأنشأ نحو ثلاثمائة وثلاثين منشأة هندسية خير نموذج لصاحب المهنة المسلم ، حيث كان يقول مصوراً مشاعره تجاه عمله وحرفته : (إننى أستضىء بنور الله فيما أعمل) كما كان يتوجه إلى الله سبحانه وتعالى داعياً باستمرار « اللهم وفقنى إلى التعبير عن حبى لك فيما أنشئ » (١).

إن « التربية الأخلاقية خير وسيلة لبناء خير فرد وخير مجتمع وخير حضارة ،وهذا أمر لابد منه لسلام الحياة الاجتماعية والاقتصادية واستقرارها أولاً ثم لسعادتها ثانياً .

إن التربية الأخلاقية ضرورية لبناء دولة قوية منظمة يعمل موظفوها بأمانة ونزاهة فيؤدون واجباتهم كاملة لكل مواطن على السواء دون محاباة أو رشوة أو أية تفرقة أخرى.

وإن أى دولة لاتسود التربية الأخلاقية أفرادها محكوم عليها بالانهيار والسقوط ، وذلك نتيجة لما تصاب به الدوائر بالشلل الوظيفى لعدم أداء الموظفين والعمال أعمالهم .

فإذا « غرست الروح الإنسانية الخيرة أدت إلى انتشار الأمن والثقة والمحبة والمودة واحترام الحقوق والكلمة والمشاعر لكل فرد ، ثم تسود روح الأخوة وروح التعاون فى سبيل الخير والمصلحة العامة » (٢).

مما سبق يتبين لنا أهمية الأخلاق كمتغير مهم عند دراسة تطور المجتمعات ونموها ، وضرورة أخذها فى الاعتبار لدفع العمليات التنموية فى البلاد .

ولكن الباحث يود أن يشير إلى نقطتين أساسيتين :

النقطة الأولى : « وهى تلك النظرة الاقتصادية إلى الأخلاق وقيمتها الرفيعة وهى نظرة تهبط ولاشك بمنزلة الأخلاق ؛ من حيث إنها قيمة عليا يضحى المرء فى سبيلها بكل مرتخص وغال ، لتصبح فى منزلة أدنى من الاقتصاد ومن النمو الاقتصادى ، هى منزلة الخادم الذى يستغله الاقتصاد أسوأ استغلال ، وعندما يتعارض المبدأ الاقتصادى مع المبدأ الأخلاقى ، فلاشك أن العقل يحكم بأن نضحى بالأدنى من أجل الأعلى ، ومن هنا نجد التضحية بالأخلاق فى سوق الاقتصاد أمراً طبيعياً ، إن اتجاه الاقتصاد إلى الناحية الأخلاقية ليس تقديراً للأخلاق فى حد ذاتها باعتبارها قيمة إنسانية رفيعة ،

---

(١) عبد الرحمن النقيب : « مدخل لدراسة الاتجاه الحرفى والمهنى فى التربية الإسلامية » بحوث فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٣٢ ، نقلها من سيد أحمد عثمان :« مقدمة » أزمة علم النفس المعاصر لجيمس ديز ، ترجمة سيد أحمد عثمان ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٨١ ،ص ١٢ـ ١٤ .

(٢) حسين آتاى : النظام الأخلاقى فى السياسة المالية ، مجلة المسلم المعاصر ، السنة الثالثة عشر ، العدد الحادى والخمسون ، رجب ، شعبان ، رمضان ، ١٤٠٨ هـ ، ص ٩٢ .

ولكن من حيث إنها ضرورية من أجل عملية التنمية ، وهذا مايجعلها فى المنزلة الدنيا ، وعندما يجد الاقتصاديون أن مثل هذه القيم قد تحول بينهم وبين هدفهم فى سرعة التنمية ، فمن السهل أن يستغنوا عنها وأن يضحوا بها ؛ لأنها لم تحقق لهم الغرض المقصود منها .

والاتجاه إلى استعمال الأخلاق فى خدمة الاقتصاد يتطلب التركيز على بعض القيم، وإهمال بعض القيم بحسب مايبدو لرجال الاقتصاد من فائدة ، والتاجر الذى يستعمل الصدق وشرف المعاملة لا من أجل الصدق والشرف بل من أجل الربح وحده لايلبث حين يجد الربح الوفير بوسيلة أخرى غير الصدق والشرف ، لايلبث أن يهجر الصدق والشرف ؛ لأنه فى الحقيقة لم يتصف فى نفسه بهذه الأخلاق ،وإنما استعملها فقط حين وجد الفائدة فى استعمالها ، وبهذا تتعثر عملية التنمية ، ولاتسير فى طريق مستقيم .

والفضائل الأخلاقية بهذه الصورة قابلة للتغير والتبدل لا من الأعلى إلى الأدنى فحسب ، بل من الضد إلى الضد ، ومن النقيض إلى النقيض ، وبهذا تصبح الفضائل الأخلاقية نسبة غير ثابتة بحال ، وبهذا لاتصبح هناك أخلاق إنسانية مشتركة ، وإنما يمكن أن نقول : إنها أخلاق اقتصادية فحسب .

إن هذه الأخلاق ليست هى الأخلاق التى يريدها علماء الأخلاق ، وليست ـ بالقطع ـ هى الأخلاق التى أعلى من شأنها الإسلام .

إن الأخلاق التى نحبذها ونلتزمها لغاية أو لغرض دنيوى تتغير حين يتغير هذا الغرض ، وبذلك تزول قيمتها ، ويفسد معناها ، أما الأخلاق الإسلامية فهى التى يلتزمها المرء بغاية عليا وأهداف مثلى ويضحى من أجلها بالأعراض المادية والدنيوية .

ومع ذلك « فإن التزامها يؤدى ولاشك إلى ما يريده الاقتصاديون من الإسراع بعملية التنمية ، وعندئذ تقف عملية التنمية بثبات على أرض صلبة ثابتة ، وتمضى فى طريقها بغير تعثر ، وتصل إلى غايتها بأقل جهد مطلوب ، وبأسرع وقت ممكن وتمضى عجلة التنمية فى طريقها » (١) .

النقطة الثانية : « إن الاقتصاديين قد قصروا نظرتهم على تلك الأخلاق التى تساعد على عملية التنمية وسرعة إنجازها ، وأهملوا تلك الأخلاق التى ينبغى أن تصاحب عملية التنمية ، ذلك أن التنمية يقصد بها تحقيق أهداف ، هذه الأهداف قد تتفق مع القيم الأخلاقية الإنسانية وقد تتعارض معها ، والبحث عن الأخلاق التى تساعد على

---

(١) عبد الفتاح عبد الله بركة : تعقيب على بحث الأخلاق والتنمية ، أبحاث ندوة إسهام الفكر الإسلامى فى الاقتصاد المعاصر ، مجلة المسلم المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٥٦٣ .

التنمية بصرف النظر عن طبيعية هذه التنمية وأهدافها موقف غير أخلاقى ، ولاشك أن هذا الموقف قد نشأ بسبب اعتبار الأخلاق وسيلة للتنمية لاغاية من غاياتها .

كما ترتب ذلك كله على ذلك الأصل العتيق الذى ينظر إلى الاقتصاد نظرة متعالية عن العواطف الإنسانية والمبادئ الأخلاقية . ففصلته فصلاً تعسفيا عن ذلك كله ، وأصبح الاقتصاد يخدم أهدافاً غير أخلاقية ، وبعبارة أخرى غير إنسانية ، وماتزال هذه النظرة كامنة عند الاقتصاديين حتى وهم يبحثون فى كيفية استغلال الأخلاق استغلالاً اقتصادياً .

لذا يجب التركيز على ضرورة عدم فصل التنمية عن أساسها الأخلاقى سواء فى منطلقاتها الأولى التى تبدأ منها ، أو فى غاياتها الأخيرة التى ترمى إليها ، أو فى وسائل تحقيقها التى تعتمد عليها ، وأن تكون النظرة إلى الاقتصاد نظرة أخلاقية كما ينبغى أن يكون ، لا أن تكون النظرة إلى الأخلاق نظرة اقتصادية كما يريد الاقتصاديون » (١) .

إن الإسلام حين يدعو المسلم إلى التمهن فهو يدعوه أيضاً إلى أن يؤدى حق الله فى مهنته ، وفى الوقت الذى يدعو التجار للانتشار ،وابتغاء فضل الله يحذرهم من الغش ويدعوهم إلى الأمانة والوفاء بالعهد والصدق ،وعدم الاحتكار ، وإيفاء الكيل وغير ذلك من الأخلاقيات التى سنتاول أهمها واحدة بعد الأخرى كما يلى :

نية العمل :

فلْينو المسلم بحرفته أو مهنته الاستعفاف عن السؤال واستعانته بما يكسبه على الدين وقيامه بكفاية أهل بيته ، ولينو وجه الله تعالى فى كل عمل ، فكل عمل لايراد به وجه الله فهو باطل لا ثمرة له فى الآخرة .

وقد جعل الرسول ﷺ النية كأساس لتقبل الأعمال جميعا فقال : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله،ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه»(٢).

وفى رواية أخرى يقول ﷺ : « الأعمال بالنية ولكل امرئ ما نوى » (٣) .

وقال تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً ﴿٨٤﴾ ﴾ [الإسراء] أى : على نيته (٤).

فواجب المسلم أن ينوى بحرفته أو مهنته وجه الله وثوابه، ويوضح لنا رسول الله

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٦٤ .

(٢) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢١ (باب الأعمال بالنيات) .

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٤) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢١ .

ﷺ هذا المعنى فى قوله : « إذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها فهو له صدقة » (١).

ومما قاله السلف فى النية : « تعلموا النية فإنها أبلغ من العمل » ، وعن أحد الصالحين أنه قال : « صلاح القلب بصلاح العمل ، وصلاح العمل بصلاح النية » ، وعن بعض السلف قال : « من سره أن يكمل له عمله فليحسن نيته » ، وعن ابن المبارك قال : « ربَّ عمل صغير تعظمه النية » (٢) .

لذا ينبغى على المسلم أن تكون حرفته فى ظاهرها موافقة السنة وفى باطنها يقصد بها وجه الله عزوجل . وقد « قرر الإسلام أن كل الأعمال واللذات الطيبة يجوز أن تتحول إلى عبادة إذا قدمت أمامها النية الخالصة فى حفظ هبة الحياة والانتفاع بها واحترام إرادة واهبها » (٣).

فصلاح« النية وإخلاص القلب لرب العالمين ، يرتفعان بمنزلة العمل الدنيوى البحت فيجعلانه عبادة متقبلة ، وإن خبث الطوية يهبط بالطاعات المحضة فيقلبها معاصى شائنة فلاينال المرء منها شيء بعد التعب فى أدائها إلا الفشل والخسارة »(٤).

والحق « أن المرء مادام قد أسلم وجهه وأخلص نيته ، فإن حركاته وسكناته تحسب خطوات إلى مرضاة الله ، وقد يعجز عن عمل الخير الذى يصبو إليه لقلة ماله أو لضعف صحته ، ولكن الله المطلع على خبايا النفوس يرفع الحريص على الإصلاح إلى مراتب المصلحين ، والراغب فى الجهاد إلى مراتب المجاهدين ؛ لأن بعد نيتهم أرجح لديه من عجز وسائلهم » (٥) .

تجنب النجش :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « نهى النبى ﷺ عن النجش »(٦) ، « والنجش بفتح النون وسكون الجيم بعدها معجمة ،وهو فى اللغة: تنفير الصيد واستثارته من مكانه ليصاد ، وفى الشرع : الزيادة فى ثمن السلعة ممن لايريد شراءها ليقع غيره فيها ، سمى بذلك؛لأن الناجش يثير الرغبة فى السلعة ويقع ذلك بمواطأة البائع فيشتركان فى الإثم ، ويقع ذلك بغير علم البائع فيختص بذلك الناجش ، وقد يختص به البائع كمن يخبِرُ بأنه اشترى سلعة بأكثر مما اشتراها به ليغر غيره بذلك . وقد أجمع العلماء على أن الناجش

---

(١) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢١ ، ٢٢ .

(٢) أبوحذيفة إبراهيم بن محمد : آداب التاجر وشروط التجارة ، مرجع سابق ، ص ٢٨ .

(٣) عبد المنعم محمد خلاف : المادية الإسلامية وابعادها ، مرجع سابق ، ص ١٦٣ .

(٤) سيد عبد الحميد مرسى : الدين للحياة ، سلسلة دراسات إسلامية ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ ، ص ٧٥ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٧٥ .

(٦) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ،ج ٣ ، ص ٩١ (كتاب البيوع) .

عاص بفعله » [1]؛لأن النجش خديعة ، وتحريم الخديعة واضح لكل أحد [2] ، وقد قال رسول الله ﷺ :« الخديعة في النار ، ومن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد »[3].

وقد « قال ابن أبى أوفى : الناجش آكل ربا خائن وهو خداع باطل » [4] ، وفى مواضع كثيرة كان « يقول رسول الله ﷺ : « لايبتع المرء على بيع أخيه ولاتناجشوا ولايبع حاضر لباد » [5] .

إن النجش من القيم الرديئة التى حض رسول الله ﷺ على تجنبها ، « عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ عن التلقى ، وأن يبتاع المهاجر للأعرابى ، وأن تشترط المرأة طلاق أختها ، وأن يستام الرجل على سوم أخيه ، ونهى عن النجش وعن التصرية » [6].

إنه نهى يشمل العديد من الآداب التى ينبغى أن يتحلى بها كل من البائع والمشترى.

الصدق :

على صاحب الحرفة أو المهنة أن يتحرى الصدق فإنه رأس ماله ، وعن الرسول ﷺ أنه قال :« أربع من كن فيه كان منافقاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا اؤتمن خان ،وإذا حدث كذب ،وإذا عاهد غدر،وإذا خاصم فجر » [7] .

وصدق الحديث محمود وهو من خلق النبيين والمرسلين :﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا** (٥٤)﴾ [مريم] ،وقد أثنى الله تعالى على نبيه إسماعيل « فوصفه بصدق الوعد ؛ لأنه لم يعد شيئاً إلا وفى به » [8].

والرسول ﷺ يبين لنا فضل التجارة التى تقوم على الصدق فيقول : « البيعان بالخيار مالم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما »[9] ، « وقوله : (صدقا) أى من جانب البائع من السوم ومن جانب المشترى فى الوفاء ،وقوله : (وبينا) أى لما فى الثمن والمثمن من عيب فهو من جانبيهما ، وفى الحديث حدوث البركة لهما إذا حصل منهما الشرط وهو الصدق والتبيين ، ومحقها إن

(١) سعد المرصفى : العمل والعمال بين الإسلام والنظم الوضعية المعاصرة ، مرجع سابق ، ص ١٣٧ .
(٢) ابن حجر العسقلانى:فتح البارى بشرح صحيح البخارى،مرجع سابق ، ج٤ ،ص ٤١٦ (كتاب البيوع) .
(٣) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٩١ (كتاب البيوع) باب النجش .
(٤) المرجع السابق نفس الصفحة . (٥) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٩٤ .
(٦) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٥١ (باب الشروط فى الطلاق) .
(٧) المرجع السابق ، ج٣ ، ص ١٥ (كتاب الإيمان) .
(٨) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج١١ ، ص ١١٥ .
(٩) المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٧٦ .

وجد ضدهما وهو الكذب والكتم ، وإن كان الأجر ثابتاً للصادق الأمين والوزر حاصل للكاذب الكاتم »[1].

والواقع الذى لاشك فيه أن التزام الصدق كما « يقول ابن القيم كحمل الجبال الرواسى لايطيقه إلا أصحاب العزائم ، والمؤمنون الحقيقيون هم الذين يحرصون على هذا الصدق » [2] فى تعاملاتهم . ووجب على التاجر المسلم أن يتحرى الصدق فى البيع والشراء « فإذا اشترى التاجر ثوباً بعشرة دراهم ثم قصره بدرهم وطرزه بدرهم ورفاه بدرهم، فإنه لا يقول: اشتريته بثلاثة عشر درهماً ؛ لأنه يكون كاذباً ، بل يقول : قام على بثلاثة عشر درهما ؛ لأن عمل الإنسان لا يقوم عليه ، ولا يقول : رأس ماله ثلاثة عشر درهماً ؛ لأنه يكون كاذباً ، بل يقول : اشتريته بعشرة دراهم ، وعملت فيه عملاً يساوى ثلاثة دراهم » [3] .

« إن الصدق فى العمل ليس واجباً مطلوبا فحسب بل هو فى نظر الإسلام عبادة » [4].

تجنب الغش :

إن الصدق يستوجب من التاجر عدم إخفاء عيب فى التجارة حتى يكون لكل من البائع والمشترى حق الخيار فى الصفقة ، كما يجب على صاحب الحرفة أو المهنة أن يظهرما فى سلعتة من عيوب ولايخفيها فقد « مر ﷺ على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً فقال : « ما هذا ياصاحب الطعام ؟ » قال : أصابته السماء يارسول الله ، قال : « أفلا جعلته فوق الطعام كى يراه الناس ، من غش فليس منى » [5].

وعن العداء بن خالد قال : كتب لى النبى ﷺ : « هذا ما اشترى محمد رسول الله ﷺ من العداء بن خالد بيع المسلم من المسلم ، لا داء ولاخبثة ولاغائلة » [6].

وقوله :« (بيع المسلم للمسلم) فيه أنه ليس من شأن المسلم الخديعة ،وقوله : (لا داء) أى : لا عيب يكتمه البائع ، (ولاخبثة) أى : المراد الحرام ،(والغائلة) : الزنا والسرقة والإباق » [7] .

« وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما :أن رجلاً ذكر للنبى ﷺ أنه يخدع فى البيوع فقال:

---

(١) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٣٦٤ .
(٢) أبو حذيفة إبراهيم بن محمد : آداب التاجر وشروط التجارة ، مرجع سابق ، ص ٣٤ .
(٣) عبد الرحمن الشيرزى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، مرجع سابق ، ص ٦٣ .
(٤) سيد عبد الحميد مرسى : الشخصية المتجة ، مرجع سابق ، ص ١٦١ .
(٥) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٦٩ .
(٦) المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٧٦ (باب إذا بين البيعان ، ولم يكتما ونصحا) .
(٧) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، ج٤ ، ص ٣٦٢ ، ٣٦٣ .

« إذا بايعت فقل : لاخلابة » [1] ،« وقوله:(لا خلابة) بكسر المعجمة وتخفيف اللام أى:لا خديعة و(لا) لنفى الجنس أى :لا خديعة فى الدين ؛ لأن الدين النصيحة » [2].

تجنب الحلف :

وجب على صاحب الحرفة أو المهنة أن يتجنب الحلف ولو كان صادقاً ، فقد نهى الله عز وجل عن ذلك فقال :﴿ **وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُم** ﴾[البقرة :٢٢٤].وفى التحذير من هذا الخلق الذى يدل على عدم الثقة ويستثير الشك جاء فى الحديث : « الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة » [3] ، وفى رواية أخرى يقول ﷺ : « الحلف منفقة للسلعة ممحقة للربح » [4] ، ونهانا عن كثرة الحلف قائلا : « إياكم وكثرة الحلف فى البيع فإنه ينفق ثم يمحق » [5].

وإذا كنا قد أمرنا بالنهى عن الحلف فى البيع وإن كان صادقاً ، فإن بعدنا عن الحلف الكاذب ألزم وأوجب ، وقد حذرنا من ذلك رسول الله ﷺ قائلاً : « ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة ولاينظر إليهم ولايزكيهم ولهم عذاب أليم » قال : فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرار ، قال أبو ذر : خابوا وخسروا من هم يارسول الله ؟ قال : «المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » [6].

وعن عبد الله بن أبى أوفى رضي الله عنه « أن رجلاً أقام سلعة وهو فى السوق فحلف بالله لقد أعطى بها مالم يعط ليوقع فيها رجلاً من المسلمين » [7] فنزلت:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٧)** ﴾ » [آل عمران] .

تجنب الاحتكار للسلعة :

« المقصود بالاحتكار : ادخار السلعة وجمعها وحبسها يتربص بها الغلاء مع احتياج الناس لها » [8].

« والاحتكار حرام بالإجماع فى ضرورات الحياة ، مكروه فى كمالياتها ، ويمكن أن يلحق بالأقوات مما يترتب على احتكاره تلف وهلاك يصيب الناس كاحتكار الثياب فى

(١) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٨٥ ، ٨٦ .
(٢) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص ٣٩٧ .
(٣) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٧٨ (كتاب البيوع) .
(٤) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٥٦ .
(٥) المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٥٧ .
(٦) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٧١ .
(٧) الإمام البخارى:صحيح البخارى ،مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٧٨ (باب ما يكره من الحلف فى البيع) .
(٨) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ١٤٨ .

وقت البرد الشديد مع حاجة الناس إليها »[1] ، ومن الظلم ألا يبيع السلعة إلا أناس محدودون ، ولو باع غيرهم ذلك منعوه،ويقول الرسول ﷺ فى شأن المحتكر : «لايحتكر إلا خاطئ »[2] ، « وكلمة خاطئ التى قالها الرسول ﷺ هى التى دفع بها القرآن الكريم الجبابرة العتاة : فرعون وهامان وجنودهما » [3] ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ** (٨) ﴾ [القصص] .

«ومما يلحق بالاحتكار ما نهى عنه النبى ﷺ من بيع الحاضر للبادى ،وصورة هذا ـ كما قال العلماء ـ أن يقدم غريب بمتاع تعم الحاجة إليه ، لبيعه بسعر يومه ، فيأتيه ابن المدينة فيقول له: خل متاعك عندى حتى أبيعه لك على المهلة بثمن غال ، ولو باع البادى بنفسه لأرخص ونفع أهل البلد وانتفع هو أيضاً » [4].

وكانت هذه الصورة منتشرة فى مجتمعهم ؛ ولذلك « نهى رسول الله ﷺ أن يبيع حاضر لباد » [5] حتى يسد باب الاحتكار . وفى رواية أخرى يقول ﷺ : « لايبيع بعضكم على بيع بعض ولاتلقوا السلع حتى يهبط بها إلى السوق »[6] . إن للاحتكار أضراراً عدة وهى حرمان أصحاب الدخل المحدود من السلع في بعض الحالات فتقع على المستهلك ؛ لأنه لايصل إلى السلعة التى يريد استهلاكها فى بعض الحالات ؛ لأنه يدفع أحياناً أضعاف ثمنها ، وبذلك يستنفذ جزءا من دخله كان من الممكن توجيهه لاستهلاك سلع أو خدمات أخرى مما يؤدى إلى هبوط مستوى معيشته . وعلى المجتمع ؛ لأن الاحتكار يثير الحقد والكراهية بين طائفة المستهلكين وطائفة المحتكرين ، وعلى المحتكر نفسه فتكون كما يقول ابن خلدون : « شؤم على صاحبه ويعود عليه بالتلف والخسران » [7].

ومما يتميز به الاقتصاد الإسلامى تحريم الاحتكار ، ودور الدولة هنا يأتى فى أنها تنفذ شريعة الله تعالى ، فتمنع الاحتكار بطريقة عملية فتستولى على الأشياء المحتكرة وتبيعها مع إعطاء صاحبها الثمن الذى يحقق العدل للبائع والمشترى والذى يعتبر مناسبا أو تجبر المحتكر على البيع بالثمن المناسب ؛ « لأن الخليفة كان إذا غلا السعر ترفق بالمسلمين فأمر بفتح مخازنه ، وأن يباع بأقل مما يبيع الناس حتى يرجع الناس عن غلوهم

---

(١) سعد المرصفى : العمل والعمال بين الإسلام والنظم الوضعية المعاصرة ، مرجع سابق ، ص ١٢٥ .
(٢) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج٥ ، ص ٥٦ .
(٣) سعد المرصفى : العمل والعمال بين الإسلام والنظم الوضعية المعاصرة ، مرجع سابق ، ص ١٢٦ .
(٤) سعد المرصفى : العمل والعمال بين الإسلام والنظم الوضعية المعاصرة ، مرجع سابق ، ص ١٣٢ .
(٥) الإمام البخارى: صحيح البخارى،مرجع سابق،ج٣ ، ص ٩٤ (باب من كره أن يبيع حاضر لباد بأجر) .
(٦) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٩٥ .
(٧) قطب إبراهيم محمد : الإطار الأخلاقى لمالية المسلم ، مرجع سابق ، ص ١٧٥ ، ١٧٦ .

فى الأثمان ، ثم يأمر مرة أخرى أن يباع بأقل من ذلك حتى يرجع السعر إلى أوله أو القدر الذى يصلح للناس ، حتى يغلب الجالبين والمحتكرين بهذا الفعل ، وكان ذلك من حسن نظره » (١).

الوفاء بالكيل والميزان :

التاجر المسلم إذا كال أو وزن لايأخذ أكثر من حقه ، ولايعطى الناس أقل من استحقاقهم فإن التاجر إذا طفف فى كيله أو وزنه بأن زاد على ما أخذ ، أو نقص مما أعطى ، تضعف ثقة الناس به وينصرفون عن معاملته وينفضون من حوله فتخسر حرفته أو تجارته ويكسر سوقه (٢). هذا إلى جانب عذاب الله الأليم الذى أعد له فى الآخرة فقال تعالى: ﴿**وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ① الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ② وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ③**﴾[المطففين] « يعنى : كالوا لهم ووزنوا لهم » (٣).

« والمراد بالتطفيف البخس فى المكيال والميزان إما بالازدياد إن اقتضى من الناس ، وإما بالنقصان إن قضاهم،وويل : تعنى الوعد بالخسارة والهلاك» (٤) . وقد نصح شعيباً أصحاب الأيكة بالوفاء بالكيل والوزن حتى تستقيم حياتهم فقال لهم: ﴿ **أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣)** ﴾[الشعراء] .وفى موضع آخر:يقول تعالى: ﴿**وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ (٨٤)**﴾ [هود] .

أى وأرسلنا إلى مدين (قوم شعيب)« آمرين إياهم بالإيمان إقلاعاً عن الشرك وبالوفاء نهياً عن التطفيف ،فقد كانوا مع كفرهم أهل بخس وتطفيف ،فكانوا إذا جاءهم البائع بالطعام أخذوا بكيل زائد،واستوفوا بغاية مايقدرون عليه وظلموا » (٥) ؛ ولذلك نهاهم الله سبحانه وتعالى عن التطفيف .

إن سرد النهى عن نقصان المكيال والميزان بعد الأمر بالإيمان بالله ليبين لنا مدى أهمية النهى عن التطفيف ، ومدى الارتباط بين كل من الإيمان والوفاء بالكيل والميزان «وقد أمر الله بالإيفاء بعد أن نهى عن التطفيف تأكيداً ،والإيفاء يعنى : الإتمام » (٦).

---

(١) يحيى بن شرف النووى : صحيح مسلم بشرح النووى ،مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ .
(٢) أبو حذيفة إبراهيم بن محمد : آداب التاجر وشروط التجارة ، مرجع سابق ، ص ٣٦ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٩ ، ص ١٦٤ .
(٤) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٤٨٣ .
(٥) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٩ ، ص ٨٥ .
(٦) المرجع السابق ، ج ٩ ، ص ٨٦ .

فقال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٥)﴾ [هود] . وقد « أخذ شعيب قومه بالرفق وبالحوار الهادف حين أمروه بالعصيان فى البخس والتطفيف وقد أغناه الله عنه »(١). ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨)﴾ [هود] فقد كانت صفة أساسية فى الأنبياء أن يوفوا الكيل والميزان ؛ ولذلك كان عجباً أن يأمر أهل مدين شعيب بالتطفيف .

إن التاجر المسلم وجب عليه أن يتأسى بالرسل فهم القدوة والأسوة ، قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام : ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٥٩)﴾[يوسف] فقد « كال لإخوته بمكيال واف وقد وفاهم كيلهم فى المال » (٢).

وقد طلب إخوة يوسف الوفاء فى الكيل فى قولهم: ﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨)﴾ [يوسف] أى : يا يوسف « كما تبيع بالدراهم الجياد لاتنقصنا بمكان دراهمنا » (٣) ، وقد استدل مالك وغيره من العلماء على أن أجرة الكيال على البائع ، قالوا ليوسف : فأوف لنا الكيل ، أى : « كان يوسف هو الذي يكيل ، وكذلك الوزان والعداد وغيرهم ؛ لأن الرجل إذا باع عدة معلومة من طعام وأوجب العقد عليه وجب عليه أن يبرزها ويميز حق المشترى من حقه » (٤) .

ومما يدعم الرأى بأن الكيل على البائع قول الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٣٥)﴾ [الإسراء] «والقسطاس: الميزان بلغة الروم ، كما تقضى الآية أن الكيل على البائع » (٥).

وقد حذر الله ـ سبحانه وتعالى ـ من بخس الناس أشياءهم فى أكثر من موضع فقال تعالى : ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٨٥)﴾[الأعراف] .

« والبخس: النقص وهو مايكون فى السلعة بالتعييب والزهد فيها ، أو المخادعة عن القيمة ،والاحتيال فى التزيد فى الكيل والنقصان منه ، وكل ذلك منهى عنه فى

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٩ ، ص ٨٩ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ،مرجع سابق ، ج ١١ ،ص ١٢١ ، ١٢٢ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص ٥٤ .
(٤) المرجع السابق ، ج ٩ ، ص ٥٤ .
(٥) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج١٠ ، ص ٢٥٧ .

الأمم المتقدمة والسالفة على الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين » [1] وقال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [الأنعام : ١٥٢] ، أى : أوفوا بالاعتدال فى الأخذ والعطاء عند البيع والشراء .

وقوله تعالى: ﴿لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ « أى : طاقتها فى إيفاء الكيل والوزن، وهذا يقتضى أن هذه الأوامر إنما هى فيما يقع تحت قدرة البشر من التحفظ والتحرز وما لايمكن الاحتراز عنه من تفاوت ما بين الكيلين ،وأما ما يدخل تحت قدرة البشر فمعفو عنه » [2].

« إن مرض تطفيف الكيل نوع من أنواع الفجور لايصدر إلا عن شخص لايظن أنه يبعث يوم القيامة ويحاسب على عمله ولو ظن البعث والحساب لا طفف الكيل ولا بخس الميزان »[3] ، وقد قال رسول الله ﷺ :« إن خياركم أحسنكم قضاء »[4] .

وكان ﷺ يأمر باتخاذ المكيال فكان يقول : « كيلوا طعامكم يبارك لكم »[5] و«اكتالوا حتى تستوفوا » ، ويذكر عن عثمان رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : « إذا بعت فكل وإذا ابتعت فاكتل » [6].

وكان ﷺ يدعو لمكة كما دعا إبراهيم عليه السلام فقال : « اللهم بارك لهم فى مكيالهم وبارك لهم فى صاعهم ومدهم » [7] مما يدل على استخدام المكاييل والموازين فى العصر الإسلامى الأول .

وكان ﷺ يأمر بالوزن أيضا فكان يقول : « لاتبيعوا الذهب بالذهب ولا الورق بالورق إلا وزناً بوزن مثلاً بمثل سواء بسواء » [8].

وقد اعتنى الفقه الإسلامى بتعريف القناطير والأرطال والمثاقيل والدراهم ؛ لأنها أصول المعاملات وبها اعتبار المبيعات ، وإن كانت تختلف من إقليم لإقليم ومن بلد إلى بلد فهى تتفاضل فى الزيادة والنقصان [9].

وقد وضع المسلمون الأوائل شروطاً للموازين فقالوا : أصح الموازين وضعا ما

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ٢٤٨ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ١٣٦ .
(٣) أبو حذيفة إبراهيم بن محمد: آداب التاجر وشروط التجارة ، مرجع سابق ، ص ٣٧ .
(٤) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٣٠ (كتاب الوكالة) باب وكالة الشاهد والغائب جائزة .
(٥) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٨٨ .
(٦) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٨٨ .
(٧) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٨٩ .
(٨) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٤٢ .
(٩) عبد الرحمن الشيرزى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، مرجع سابق ، ص ١٥ .

استوى جانباه واعتدلت كفتاه ، والمكيال الصحيح ما استوى أعلاه وأسفله فى الفتح والسعة من غير أن يكون ضيقاً فى الوسط ولامائلاً ولابعضه داخلاً وبعضه خارجاً ، وإن كان فى أسفله طوق من حديد كان أحفظ له .

وينبغى للمحتسب أن يجدد النظر فى المكاييل و يراعى مايطففون به المكيال ، فإن من البائعين من يصب فى أسفله الجبسين فيلصق به لصقا لايكاد يعرف ، ومنهم من يأخذ لبن التين ويعجنه بالزيت حتى يصر فى قوام المرهم،ثم يلصقه فى داخل المكيال فلا يعرف (١) .

« إن الكيالين لاخير فيهم لاسيما فى هذا الزمان ؛ لأن أكثرهم يكتال مايقبضه زائداً وعند الصرف يجعله ناقصاً ؛ ولذلك ينبغى على المحتسب أو من يقوم مقامه أن يحذرهم ويخوفهم عقوبة الله تعالى وينهاهم عن البخس والتطفيف » (٢) .

والحسبة من قواعد الأمور الدينية ، وقد كان أئمة الصدر الأول يباشرونها بأنفسهم لعموم صلاحها وجزيل ثوابها ، وهى أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهى عن المنكر إذا ظهر فعله بين الناس .

والمحتسب : من نصبه الإمام أو نائبه للنظر فى أحوال الرعية والكشف عن أمورهم ومصالحهم .

اتقاء الشبهات :

ينبغى على صاحب الحرفة أو المهنة أن يتقى مواقع الشبهات وليعلم أن ربح الآخرة وغناها خير من ربح الدنيا ، وها هو رسول الله ﷺ يقول : « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهة ، فمن ترك ماشبه عليه من الإثم كان لما استبان أترك ، ومن اجترأ على مايشك فيه من الإثم أوشك أن يواقع ما استبان ، والمعاصى حمى الله من وقع حول الحمى يوشك أن يواقعه »(٣) .

وقال أيضاً : « إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما مشتبهات لايعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه » (٤).

وقال الحسن: مازالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيرا من الحلال مخافة الحرام .

---

(١) المرجع السابق ،ص ٢٠ .

(٢) ابن الإخوة : معالم القربة فى أحكام الحسبة ، مرجع سابق ، ص ٨٦ .

(٣) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٧٠ (كتاب البيوع) .

(٤) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٥٠ ، ٥١ .

« وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : إنى لأحب أن أدع بينى وبين الحرام سترة من الحلال لا أخرقها، وقال ميمون بن مهران : لايسلم للرجل الحلال حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزاً من الحلال ، وقال سفيان بن عيينة : لايصيب عبد حقيقة الإيمان حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزاً من الحلال ، وحتى يدع الإثم وما تشابه منه » (١).

« وعن بعض السلف أنه كان بواسط ،فجهز سفينة حنطة إلى البصرة ، وكتب إلى وكيله بع : هذا الطعام يوم يدخل البصرة ،ولاتؤخره إلى غد ،فوافق ذلك سعة فى السعر فقال له التجار : وإن أخرته جمعة ربحت فيه أضعافه ، فأخره جمعة، فربح فيه أمثاله، وكتب إلى صاحبه بذلك ، فكتب إليه صاحب الطعام ، ياهذا ، إنا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا ،وإنك قد خالفت ،وما نحب أن نربح أضعافه بذهاب شيء من الدين ، فقد جنيت علينا جناية ، فإذا أتاك كتابى هذا فخذ المال كله فتصدق به على فقراء البصرة، وليتنى أنجو من إثم الاحتكار كفافا لا لى ولا على » (٢) .

وما أحوج تربيتنا اليوم إلى التربية بالقدوة إنها حقاً نماذج تستحق منا الدراسة والتمحيص وتدريسها فى مدارسنا ، حتى ينشأ جيل فاهم لدينه .

الوفاء بالعهد :

ينبغى على صاحب الحرفة أو المهنة الوفاء بالعهد ،وإن من الأمانة الوفاء بالعهد ، يقول تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ** (٨) ﴾ [المؤمنون] « والأمانة والعهد تجمع كل ما يحمله الإنسان من أمور دينه ودنياه قولا وفعلاً ، وإن كانت الأمانة أعم من العهد وكل عهد فهو أمانة » (٣).

وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالوفاء بالعهد ، ودعا الإسلام طرفى العقد إلى الوفاء بما تعاقدوا أو تعاهدوا عليه ، وذلك كما يتبين من الآية الكريمة: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ** ﴾ [المائدة : ١] ويعنى ذلك عقد الدين ، وهى ما عقده المرء على نفسه من بيع وشراء وإجارة وكراء ومزارعة ومصالحة وتمليك وعتق وغير ذلك من الأمور ،ما كان ذلك غير خارج عن الشريعة (٤) .

ولأن رسول الله ﷺ يقول : « كل شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط » (٥). فبين أن الشرط أو العقد الذى يجب الوفاء به ما وافق كتاب الله ، فإن ظهر ما يخالف رد .

(١) أبو حذيفة إبراهيم بن محمد : آداب التاجر وشروط التجارة ، مرجع سابق ، ص ١٣٢ .
(٢) عبد الرحمن الشيرزى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، مرجع سابق ، ص ١٣ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، ص ١٠٧ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٣٢ .
(٥) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٩٩ ، ٢٠٠ .

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠)﴾ [الرعد] «والمعنى : الذين يوفون بجميع عهود الله وهى أوامره ونواهيه التى وصى بها عبيده ، وقوله : ﴿وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾ يحتمل أن يريد به جنس المواثيق أى إذا عقدوا فى طاعة الله عهداً لم ينقضوه » (١) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً (٣٤)﴾ [الإسراء] ، وأكد سبحانه وتعالى على الوفاء بالعهد فقال : ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) ﴾ [الأنعام] « وهذه الآية عامة فى جميع ما انعقد بين إنسانين » (٢) .

ولما ذكر الله المؤمنين بالوفاء بعهودهم حذرهم من إتيان النقيض وهو عدم الوفاء بالعهد فقال : ﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢٥)﴾ [الرعد] «ونقض الميثاق ترك أمره » (٣) وعدم تنفيذ ما جاء به .

إن صاحب الحرفة أو المهنة المسلم وجب عليه أن يلتزم بالعهد مهما كانت الظروف التى تعوق تنفيذ العهد ، بل وجب عليه أن يحاول التغلب عليها ، حتى يستطيع أن يفى بوعده ،حتى وإن ظن أن الوفاء بالعهد قد يخسره القليل فى تجارته ،قال تعالى : ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلا ﴾ أى : « لاتنقضوا عهودكم لعرض قليل من الدنيا » (٤) .

وقال تعالى :﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٩١) ﴾ [النحل] « فقوله :﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾لفظ عام لجميع ما يعقد باللسان ويلتزمه الإنسان بالعدل والإحسان » (٥).

ثم شدد الله ـ سبحانه وتعالى ـ على الناقض للعهد فجعله كالناقض للأيمان ؛ لأن الأيمان والوفاء بالعهد شيئان مترابطان،فقال:﴿ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ « أى : بعد تشديدها وتغليظها وقد جعلتم الله عليكم شهيدا » (٦) . ولقد وعد الله سبحانه وتعالى بالأجر العظيم للموفون بعهدهم فقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص ٣٠٧ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القران ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ١٣٧ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ١٦٩ .
(٤) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٥٨٥ .
(٥) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ١٦٩ .
(٦) المرجع السابق والجزء ، ص ١٧٠ .

﴿ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الفتح] ، وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الصف] « استفهام على جهة الإنكار والتوبيخ على أن يقول الإنسان مالا يفعله ، وقد يحتج بها فى وجوب الوفاء فى اللجاج والغضب » (١).

وقد طلب الله ـ سبحانه وتعالى ـ من بنى إسرائيل الوفاء بالعهد فقال: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾ [البقرة] والمعنى « أن أوفوا بعهدكم إياى بالإيمان أوف بعهدى لكم بأن أرضى عنكم وأدخلكم الجنة » (٢).

حقاً إنها ثمرة طيبة للوفاء بالعهد ألا وهى الجنة ، ويثنى الله على المؤمنين بعهدهم فيقول : ﴿ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ﴾ [البقرة : ١١٧] أى: « فيما بينهم وبين الله تعالى وفيما بينهم وبين الناس» (٣) ، فإذا أبرم المسلم عقداً فيجب أن يحترمه ، وإذا أعطى عهدا فيجب أن يلتزمه ، ومن الإيمان أن يكون المرء عند كلمته التى قالها ، فيعرف بين الناس بأن كلمته ميثاق غليظ لاخوف من نقضها .

والوفاء بالعهد يحتاج إلى عنصرين ، إذا اكتملا فى النفس سهل عليها أن تنجز ما التزمت به ، فإن الله أخذ على آدم أبى البشر عهداً مؤكداً ألا يقرب الشجرة المحرمة ؛ لكن آدم ما لبث أن نسى وضعف ، ثم نكث فى عهده : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [طه] « ونسى هنا من السهو والنسيان ، ولو كان له عزم ما أطاع عدوه إبليس » (٤).

فضعف الذاكرة وضعف العزيمة ، عائقان كثيفان عن الوفاء بالواجب ، والإنسان لتجدد الحوادث أمامه، وترادف الهموم المختلفة عليه، يفعل الزمان فعله العجيب فى نفسه فتخبو المعالم الواضحة ، ويحس ما كان بارزاً فى نفسه لايكاد يبين ؛ ولذلك فإن الذكر المطرد اليقظ ، ضرورة لازمة للوفاء . فمن أين لناسى العهد أن يفى به ؟ لذلك ختمت آية العهد بعنصر التركيز : ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الانعام] ، فإذا ذكر الإنسان الميثاق المأخوذ عليه يجب أن ينضم إلى هذا الذكر عزم شدد على إنفاذه (٥).

السماحة فى البيع والشراء وإنظار المعسر :

من قيم التجارة إنظار المعسر ، ولايخفى مافى هذه القيمة من دعم العلاقات الطيبة

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٨ ، ص ٨٠ ، ٨١ .
(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٨٣ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ،ج ١١ ، ص٢٥١ .
(٥) محمد الغزالى: خلق المسلم،دار الكتب الإسلامية ،القاهرة ،عابدين ،١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣م،ص٥٢ .

بين الناس ، وسبيل إلى مغفرة الله تعالى ، جاء فى الحديث :« تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم فقالوا : أعملت من الخير شيئاً ؟ قال : لا. قالوا : تذكر ، قال : كنت أداين الناس فآمر فتيانى أن ينظروا المعسر ويتجوزوا عن الموسر ، قال : قال الله عز وجل : تجوزوا عنه » (١).

وفى رواية أخرى : « عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « كان رجل يدين الناس فكان يقول لفتاه : إذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله يتجاوز عنا ، فلقى الله فتجاوز عنه » (٢) ، أى أن الإسلام يدعو إلى إنظار المعسر ويجعل جزاء ذلك عفو الله عن ناظر المعسر ، كما يدعو الإسلام إلى السهولة والسماحة فى البيع والشراء والتقاضى فيقول ﷺ : « رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى » (٣) « والسماحة : الجود، والسمح : الجواد ، والمسامحة : المساهلة ، وتسامحوا : تساهلوا » (٤) «وقوله : إذا اقتضى أى طلب قضاء حقه بسهولة وعدم إلحاف ، وخلاصة الحديث أنه يحض على السماحة فى المعاملة واستعمال معالى الأخلاق وترك المشاحنة ، والحض على ترك التضييق على الناس فى المطالبة وأخذ العفو منهم »(٥) ، وليس للسماحة نطاق مجدد وإنما هى تنبع من الأخوة الإسلامية التى تؤدى للتعاطف والتراحم فى التعامل بين المسلمين .

ومن أمثلة السماحة فى البيع ما يلجأ إليه بعض التجار من منح خصم فى ثمن البيع إذا اشتروا بكميات كبيرة ، أو إذا كانوا من قدامى المتعاملين معهم ، أو التجاوز عن مصاريف نقل البضائع إن كانت يسيرة ، وعدم التدقيق فى الثمن بالنسبة لأصحاب السلع الهينة ؛ لأنهم يعيشون على رؤوس أموال ضئيلة كالباعة المتجولين الذين يطوفون الأرض طوال اليوم فى توزيع وبيع مايحملون على رءوسهم وأكتافهم وبين أيديهم ، ويتربحون منه ما يفى لكفافهم وكفاف أسرهم ، والسماحة معهم عون خفى وتخفيف لوطأة الحياة عليهم وتنفيس كربهم ،ومن أمثلة سماحة المشترى أيضا عدم التمسك بشراء نفس السلعة التي يعرضها البائع للإعلان عن سلعة بوضعها فى« فاترينة » مادام يحصل على سلعة مماثلة وبنفس الثمن مما هو موجود بمخزن البائع ؛ذلك لأن التاجر يتكلف فى عرض سلعته نفقات فى تزيينها وإظهارها بالمظهر الذى يريد ويستخدم فى ذلك مختصين فى طرق العرض ومعرفة أذواق الجمهور ،ولو تمسك كل مشتر بأخذ عينة البضاعة المعروضة لأدى فى كل مرة إلى إعادة ترتيبها وتنسيقها ، مما يكلف التاجر نفقات لا مبرر

(١) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج٥ ، ص ٣٢ (كتاب البيوع) .

(٢) المرجع السابق ، ج٥ ، ص ٣٣ .

(٣) الإمام البخارى: صحيح البخارى، مرجع سابق، ج٣ ،ص٧٥ (باب السهولة والسماحة فى الشراء والبيع).

(٤) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٣١٢ .

(٥) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص ٣٥٩ .

لها وضياع الوقت، ومما يحدث من سماحة بعض التجار ورغبة منهم فى استرضاء المشترين أن يسلموهم السلعة المعروضة .

ومن أمثلة سماحة الاقتضاء فى التجارة أن ييسر البائع على المشترى فى سداد ثمن السلعة فيقسطها عليه مراعياً فى ذلك حالته المالية وأن ييسر كذلك فى أجل السداد ، وقد ضرب لنا القرآن الكريم مثلاً على السماحة فقال تعالى : ﴿ **قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ** (٢٧) ﴾ [القصص]. فقد طلب شعيب عليه السلام من موسى عليه السلام كمهر لزواجه من ابنته أن يعمل عنده ثمان سنوات ، ومنعاً من المشقة عليه ترك له أن يتمم عشراً إذا أراد ،وكان من الممكن أن يلزمه بالعمل عشر سنوات ابتداء ، ولكنه أراد أن يطبق مبدأ السماحة فى الاقتضاء (١) .

والسماحة خلق كريم ولو علم التاجر مافيها من بركة لحاول جاهدا أن يتخلق بها ؛ لأن فى السماحة وسهولة التعامل مايسر التجارة ويرسى أسباب الثقة التى تنشط التداول وسرعة دوران رأس المال التى تؤدى إلى الرخاء للمجتمع كله وعلى رأسه التاجر (٢).

إن « الإسلام يدعو إلى الرفق عامة وهو مايعبر عنه فى الاصطلاح الحديث بالعلاقات الإنسانية فأساس هذه العلاقات فى الإسلام هو المحبة والرفق والتسامح ، وباعتبار أن المسلم فى تعامله مع الناس إنما يتعامل أساسا مع الله تعالى » (٣).

التطوع بالعمل بدون أجر فى ظروف خاصة :

« تتطلب بعض الأحوال أن يتقدم العامل بعمله دون مقابل ابتغاء ثواب الله وتضامنا مع المجتمع فيما أصابه من ملمات أو شدائد أو كوارث ، فقد تمر بالوطن ظروف حرب فيعمل العمال ساعات عمل إضافية تطوعاً منهم للمساهمة فى المجهود الحربى ، أو تمر برب العمل ظروف كساد فيتضامن العاملون معه بالتطوع بجزء من وقتهم يعملون فيه دون أجر حتى يجتاز رب العمل ظروف الكساد التى تمر به ، وقد يتطلب إنجاز العمل نفسه وقتا إضافيا فيتم العاملون إنجاز أعمالهم المنوطة بهم بعد ساعات العمل الأصلية دون مقابل ، وقد تمتد دائرة التطوع إلى خارج الوطن نفسه ، فإذا اجتاحت أهل وطن شقيق كوارث كفيضانات أو حرائق أو سيول ، تطوع المحترفون بأعمالهم الحرفية لأبناء هذا الوطن ، وقد يكون التطوع بالعمل أو بجزء منه . والإسلام يبارك التطوع فى الخير حيث يقول تعالى: ﴿ **فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ** ﴾ [البقرة : ١٨٤] .

---

(١) قطب إبراهيم محمد : الإطار الأخلاقى لمالية المسلم ، مرجع سابق ، ص١٩٥ ـ ١٩٨ .

(٢) عبد السميع المصرى: التجارة فى الإسلام، الطبعة الثانية، مكتبة وهبة ،القاهرة ١٤٦٠هـ ـ ١٩٨٦م ،ص١٧ .

(٣) محمد شوقى الفنجرى : نحو اقتصاد إسلامى ، مرجع سابق ، ص ٩٠ .

كما تضمن القرآن الكريم على أمثلة أعمال تطوعية، منها ما حدث فى قصة موسى عليه السلام عندما سار مع العبد الصالح الذى أعطاه الله الحكمة وعلمه من عنده علما غزيرا، ففى أثناء سيرهما أتيا قرية فطلبا من أهلها طعاما فأبوا ضيافتهما ، فوجدا فيها جدارا مائلا يكاد يسقط فبناه العبد الصالح وأقامه تطوعا دون أجر . وفى ذلك يقول القرآن الكريم : ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧)** ﴾ [الكهف] .

ومن الأعمال التطوعية التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم ماقام به ذو القرنين من إقامة السد لحماية قوم من غارات يأجوج ومأجوج الذين كانوا يفسدون فى الأرض ويخربونها ، وقد عرض القوم أن يدفعوا لذى القرنين أجرا على عمله ، ولكنه تطوع بالعمل بعفة وصلاح وقصد للخير ، اكتفاء بما منحه الله من ثروة وسلطان فطلب مساعدتهم فقط [١] .

﴿ **قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥)** ﴾ [الكهف] .

ومن أمثلة الأعمال التطوعية أيضاً التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم ماورد فى قصة زواج موسى عليه السلام ، فقد زوج شعيب عليه السلام إحدى ابنتيه لموسى عليه السلام على أن يكون مهرها العمل عنده ثمانى سنوات ، فإن أتمها عشراً فمن عنده تطوعاً ، ولم يلزمه بأطول الأجلين ﴿ **قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧)** ﴾ [القصص]

وإذا كانت التطوعية تقوم فى جوهرها على مبادئ أساسية تتركز فى إحساس الفرد بالفرد والفرد بالجماعة والمجتمع والأمة ، وإحساسهم جميعاً بالتالى به، والعمل فى سبيل بعضهم البعض ودون انتظار مقابل(مادى/ مالى ـ بالذات) من ناحية، وباختيارهم وإرادتهم وفقاً لمشيئتهم الحرة وبلا إكراه أو تسلط من ناحية أخرى ، فإن الإسلام قد احتوى على ما هو مماثل لهذه المبادئ بل وما هو أكبر وأعمق منها نظراً وعملاً .

فالتطوعية بمعنى فعل الخيرات والدخول فى أنشطة إيجابية من جهة ، ثم الإحجام عن فعل الشرور . والأعمال السلبية ومقاومتها من ناحية أخرى أمر كامل الوضوح فى صميم الإسلام ، فإذا كان القرآن ينظر إلى المسلمين باعتبارهم ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ**

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص ١٠٤ .

للنَّاس ﴾ فإنه لم ير هذا إلا لاتصافهم بصفتين تأخذان شكل الجناحين اللذان يحلق بهما المؤمن فى آفاق الإنسانية وهما جناح الأمر بالمعروف (أو فعل الخير) كصفه أولى ، أو العمل ضد الشر ومقاومته كصفة ثانية [١] ، وفى ذلك يقول تعالى : ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠)**﴾ [آل عمران] .

بمعنى أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس [٢] ؛ لأنهم هم الذين ﴿ **يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤)** ﴾ [آل عمران].

« وإذا كان الإسلام يأمل فى صميمه أن تكون هذه هى صفات المسلمين جميعاً ، فهو يعلم أيضاً أن النفوس البشرية ليست سواء من حيث تقبلها للخير أو جنوحها للشر . فهى مطبوعة على الخير كما أنها مطبوعة على الشر ؛ وهى لذلك تأتى الإيجابيات إتيانها للسلبيات ، ومن أجل هذا فإنه فى واقعه يتوقع أن تقوم فئة ـ أكثر من غيرها ـ تتعهد فعل الخيرات وهو يعدها بالفلاح وحسن الجزاء » [٣] قال تعالى : ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (٧٣)** ﴾ [الأنبياء] .

وقوله : ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤)**﴾ [آل عمران] .

إن هذه « الفئة النشطة فى الخير هى بلا شك الفئة التى تطوعت واستجابت لداعى الله حين دعاهم لما يحييهم ، وهى تعلم أن فى ذلك خيرها وخير مجتمعها وخير أمتها وخير دينها » [٤] : ﴿ **فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ** ﴾[البقرة : ١٨٤] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (١٥٨)** ﴾ [البقرة] قيل : « المراد وتطوع خيراً فى سائر العبادات » [٥] . وبطبيعة الحال فإن استجابة هؤلاء لداعى الله وتطوعهم لفعل الخيرات ومقاومة الشرور إنما تنبع من رغبة خيرة واختيار حر ، وهم لايهدفون من ورائه أى ربح

---

(١) عبد المنعم محمد بدر : « اللاتطوعية وأزمة التنمية فى العالم العربى الإسلامى » مجلة المسلم المعاصر، العدد ٣٤ ، ربيع الثانى ، جمادى الأولى ، جمادى الثانية ١٤٠٣ هـ ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٣٩١ .

(٣ ، ٤) عبد المنعم محمد بدر: « اللاتطوعية وأزمة التنمية فى العالم العربى الإسلامى » مجلة المسلم المعاصر ، مرجع سابق ، ص ١٢٥ .

(٥) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٠٠ .

مادى أو متاع دنيوى ، وإنما يبغون به مرضاة الله وحده ، ويطلبون رضوانه ، وهذه هى فى الواقع قمة التطوعية كما وضحت فى مفهومها الحديث (١) ، فهم فى الإسلام يعلمون: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١٢٠)﴾ [التوبة] وأنه يقول : ﴿إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً (٣٠)﴾ [الكهف]، ويقول الواحد منهم لذويه وعشيرته: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩)﴾ [الشعراء] . وهم فى كل ذلك يعلمون أن أجرهم مدخر للآخرة ، وأن أجر الآخرة هذا أكبر وأعظم من أى أجر ـ دنيوى ـ آخر : ﴿ وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١)﴾ [النحل] .

إن « عالمنا العربى الإسلامى مازال فى كثير من مواقفه يئن تحت وطأة عدم الإقبال على مثل هذا اللون من الأنشطة رغم أن فيه صلاحه أو بعضه على الأقل . صحيح أن هذا العالم لم يعدم ، ولن يعدم بعض أمثلة حية واتجاهات صحيحة فى هذا المجال ، ولكن الصحيح أيضاً ، أن كثيراً من هذه الاتجاهات لم يرق له ـ سواء كان من ناحية الكم أو من ناحية الكيف ـ إلى الآفاق المأمولة وخاصة إذا ما نظر إلى هذه الأمور من خلال ظروفه الصعبة التى يتعايش معها » (٢) .

إن المقارنة بين ماهو قائم فى عالمنا العربى والإسلامى ، وما يأمرنا به إسلامنا يشير إلى تقاعس مواطنينا عن الإقدام إلى مثل هذه الأعمال التطوعية ، ومن ثم ينبغى على المدرسة أن تضع فى مناهجها مايدعم هذا الاتجاه فى نفوس طلابها ، فما أحوجنا إلى ذلك .

الأمـانـة :

الأمانة هى رأس مال الممتهن المسلم والذى يأتمنه الناس على كثير من معاملتهم معه، فهم يأمنونه فى جودة البضاعة وفى كيلها ووزنها وفى سعرها ، فإن لم يكن مراعياً ومؤدياً لتلك الأمانة كان واقعاً تحت طائلة حديث رسول الله ﷺ والذى يقول فيه: « آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان » (٣)، ويدعونا الله إلى الأمانة بقوله : ﴿ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٣] ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨] وهو « يعمم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان من حقوق الله عز وجل على عباده من الصلاة والزكاة والصيام والكفارات والنذور وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه لايطلع عليه العباد ، ومن

---

(١) عبد المنعم محمد بدر : « اللاتطوعية وأزمة التنمية فى العالم العربى الإسلامى » مجلة المسلم المعاصر ، مرجع سابق ، ص ١٢٥ .

(٢) المرجع سابق ، ص ١٢٩ .

(٣) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٥ .

حقوق العباد بعضهم على بعض كالودائع وغير ذلك مما يأتمنون به من غير اطلاع بينه على ذلك ، فأمر الله عز وجل بأدائها » (١) . « وقال ابن عباس : لم يرخص الله لمعسر ولا لموسر أن يمسك الأمانة » (٢).

والمسلم الأمين تتداعى عليه الناس طلباً لقضاء حوائجها سواء كان صاحب حرفة أو مهنة ، ويتبين ذلك من قصة نبى الله موسى وبنات شعيب ؛حيث يقول تعالى: ﴿ **قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ** (٢٦) ﴾ [القصص] ، ولقد كانت الأمانة سمة بارزة من سمات المجتمع الإسلامى فى مجال الاشتغال بالمهن والحرف ، بل فى الحروب والغنائم . ومن الأمانة أن ينتج المنتج على أكمل وجه عملاً بقوله تعالى : ﴿ **وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** (٩٣) ﴾ [النحل] ، وفى شأن الأمانة يقول تعالى: ﴿ **وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا** ﴾ [آل عمران : ٧٥] الأمانة عظيمة القدر فى الدين ، ومن عظم قدرها أنها تقوم هى والرحم على جنبتى الصراط (جنبتى : جانبه وناحيته) (٣).

وكان رسول الله ﷺ يحض أصحابه على الأمانة مرة بالقدوة وأخرى بالموعظة ، وكان يحكى سير الأمناء فكان يقول مثلاً : « اشترى رجل من رجل عقاراً له ، فوجد الرجل الذى اشترى العقار فى عقاره جرة ذهب فقال له الذى اشترى العقار : خذ ذهبك منى إنما اشتريت منك الأرض ولم أبتع منك الذهب،فقال الذى اشترى الأرض: إنما بعتك الأرض وما فيها قال : فتحاكما إلى رجل فقال الذى تحاكما إليه : ألك ولد ؟ فقال أحدهما لى غلام ، وقال الآخر : لى جارية قال : أنكحوا الغلام الجارية وأنفقوا على أنفسكما منه وتصدقا » (٤) ، وفى هذه القصة تعميق للأمانة عن طريق القصة .

وكان صحابة رسول الله ﷺ من أشد الناس حرصاً على أداء الأمانة والتابعين من بعدهم ، حتى إن أبا حنيفة قد بعث بمتاع إلى حفص بن عبد الرحمن شريكه فى التجارة وأعلمه أن فى ثوب فيه عيباً ، فبينه للناس ، فباع حفص المتاع ونسى أن يبين واستوفى ثمناً كاملا لثوب غير كامل ،وقيل :إن الثمن كان ثلاثين ألفاً ، أو خمسة وثلاثين ألفاً ، فأبى أبو حنيفة إلا أن يبعث لشريكه يكلفه أن يبحث عن المشترى ، ولكنه لم يهتد إلى الرجل فأبى أبو حنيفة إلا فصالاً عن شريكه وتتاركا ، بل رفض أن يضف الثمن إلى حر ماله وتصدق به كاملاً » (٥).

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٥١٥ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص٢٥٦ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص ١١٧ .
(٤) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج٥ ، ص ١٣٣ .
(٥) حسنى أدهم جرار : القدوة الصالحة ، أخلاق قرآنية ، ونماذج ربانية ،دار الضياء للنشر والتوزيع ، الأردن، عمان ، بدون تاريخ ، ص ٧٦ .

ويروى أنه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الأثمان ضرب قيمة كل حلة منه أربعمائة ، وضرب حلل أخرى كل حلة قيمتها مائتان ، فمر إلى الصلاة ، وخلف ابن أخيه فى الدكان فجاء أعرابى وطلب حلة بأربعمائة فعرض عليه من حلل المائتين ، فاستحسنها ورضيها واشتراها ، فمضى بها وهى على يديه ، فاستقبله يونس ، فعرف حلته، فقال للأعرابى : بكم اشتريت ؟ فقال : بأربعمائة ، فقال : لاتساوى أكثر من مائتين ، فارجع حتى تردها فقال : هذه تساوى فى بلدنا خمسائة وأنا أرتضيها ، فقال يونس : انصرف ، فإن النصح فى الدين خير من الدنيا بما فيها ، ثم رده إلى الدكان ورد عليه مائتى درهم وخاصم ابن أخيه فى ذلك وقال له :أما استحييت ! أما اتقيت الله ! تربح الثمن وتترك النصح للمسلمين ؟ فقال له: أما والله ما أخذها إلا وهو راض بها ، فقال: فهلا رضيت له بما ترضاه لنفسك ! (١).

تجنب أكل أموال الناس بالباطل :

« عنى الإسلام بالمحافظة على أموال الناس فحرم الله أكل أموال الناس بالباطل بكل الوسائل والأساليب تحت أية مسميات ،سواء كان هذا الأكل سرقة واعتداء،أو كان تعاملاً كالربا أو كان انتقاصاً لأجر عامل ،أو كان غشا واحتيالاً فى البيع والشراء » (٢).

وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩)** ﴾ [النساء] « والمعنى أن الله تبارك وتعالى ينهى عباده المؤمنين عن أن يأكلوا أموال بعضهم بعضاً بالباطل أى أنواع المكاسب التى هى غير شرعية كأنواع الربا والقمار وما جرى مجرى ذلك من سائر صنوف الحيل.

وقوله تعالى: ﴿ **إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُم** ﴾« تعنى ألا تتعاطوا الأسباب المحرمة فى اكتساب الأموال ، لكن المتاجر المشروعة التى تكون عن تراضٍ من البائع والمشترى فافعلوها وتسببوا بها فى تحصيل الأموال» (٣).

وفى الحديث : « من ظلم من الأرض شيئاً طوقه من سبع أرضين » (٤) ، وفى حالة الاعتداء على المال أجاز الإسلام للمالك أن يدفع عن ماله كل معتد حماية لحرمة ماله وحفاظاً عليه مهما كلفه ذلك ،وفى الحديث:« من قتل دون ماله فهو شهيد » (٥).

---

(١) المرجع السابق ، ص ٧٦ ، ٧٧ .
(٢) فوقية محمد ياقوت : القيم التربوية للتنمية فى الحديث الشريف ، مرجع سابق ، ص ١٢٣ .
(٣) الإمام ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٤٧٩ .
(٤) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص ١٧٠ .
(٥) المرجع السابق ، ج٣ ، ص ١٧٩ .

تجنب المنابذة والملامسة :

حرص النبى ﷺ على عدم التضليل والخداع فى البيع والشراء ، فنهى عن كل مايؤدى إلى الغش والتدليس، عن أبى سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ « نهى عن المنابذة وهى : طرح الرجل ثوبه بالبيع إلى الرجل قبل أن يقلبه أو ينظر إليه ، ونهى عن الملامسة ، والملامسة : لمس الثوب لاينظر إليه » (١).

تجنب المزابنة :

كان رسول الله ﷺ ينظر فى أحوال المزارعين وتجار الثمار ، وكان ينهى عن بيوع معيبة وخبيثة « عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : نهى رسول الله ﷺ عن المزابنة وهى أن يبيع ثمر حائطه إن كان نخلاً بثمر كيلاً وإن كان كرما إن يبيعه بزبيب كيلا ، وإن كان زرعاً أن يبيعه بكيل طعام ، ونهى عن ذلك كله »(٢) ، والمزابنة : أن يبيع الثمر بكيل إن زاد فلى وإن نقص فعلى ، فثبت من صور المزابنة هذه الصورة من القمار ، وقال مالك : المزابنة كل شىء من الجزاف لايعلم كيله ولا وزنه ولا عدده إذا بيع بشىء مسمى من الكيل وغيره ، سواء كان من جنس يجرى الربا فى نقده أم لا، وسبب النهى عنه ما يدخله من القمار والغرر » (٣).

شروط البيع والشراء :

يجب ألا يحتوى العقد بين اثنين على شرط يخالف الشريعة الإسلامية ، سواء جرى هذا العقد بين أفراد أو جماعات ، ومما يدل على ذلك حديث عائشة رضي الله عنها ؛ إذ تقول : «جاءتنى بريرة فقالت : كاتبت أهلى على تسع أواق فى كل عام أوقية فأعينينى، فقلت: إن أحب أهلك أن أعدها لهم ، ويكون ولاؤك لى فعلت ، فذهبت بريرة إلى أهلها ، فقالت لهم فأبوا عليها ، فجاءت من عندهم ورسول الله ﷺ جالس فقالت : إنى قد عرضت ذلك عليهم فأبوا إلا أن يكون الولاء لهم ، فسمع النبى ﷺ فأخبرت عائشة النبى ﷺ فقال : « خذيها واشترطى لهم الولاء فإنما الولاء لمن أعتق » ففعلت عائشة ثم قام رسول الله ﷺ فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد ، ما بال رجال يشترطون شروطا ليست فى كتاب الله ، ما كان من شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط ، قضاء الله أحق وشرط الله أوثق وإنما الولاء لمن أعتق » (٤).

وفى رواية أخرى : « أن عائشة أم المؤمنين أرادت أن تشترى جارية فتعتقها فقال

---

(١) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص ٩١ .

(٢) المرجع السابق ، ج٣ ، ص ١٠٢ (باب بيع الزرع بالطعام كيلا) .

(٣) ابن حجر العسقلانى: فتح البارى بشرح صحيح البخارى ،مرجع سابق،ج٤ ،ص ٤٤٩ (باب بيع المزابنة).

(٤) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص ٩٥ ، ٩٦ (كتاب البيوع) .

أهلها : نبيعكها على أن ولاءها لنا ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال : « لا يمنعك ذلك فإنما الولاء لمن أعتق » (١).

مراعاة الوقت ودقته :

من الفضائل التى يمتاز بها الإسلام أنه يعرف للوقت قيمته،ويقدر خطورة الزمن، ويؤكد الحكمة الغالية « الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك » ويجعل من دلائل الإيمان وأمارات التقى أن يعى المسلم هذه الحقيقة ويسير على هداها (٢) ، يقول تعالى: ﴿ **إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ** ﴿٦﴾ ﴾ [يونس]، ويعتبر الإسلام الزاهدين فى غدهم والغارقين فى حاضرهم المسحورين ببريق الدار العاجلة ، قوماً خاسرين سفهاء ، ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ** ﴿٧﴾ **أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴿٨﴾ ﴾ [يونس]

« إن الوقت هو رأس المال الحقيقى للإنسان والذاهب منه لايعود بحال ، على حين أن المال يذهب ويجيء فالإسراف فى الوقت أمر لا يقدم عليه عاقل ، ولاينبغى أن يرضاه إنسان لنفسه ، والإسلام يدعو أبناءه جميعاً إلى تقدير الوقت والزمن حق قدره ، وينهى نهيا شديداً عن إضاعة شىء منه فى غير خير أو فائدة؛ولهذا جعل من الإيمان الإعراض عن اللغو والقيل والقال وما لاخير فيه،بل قد يأتى بالضرر منه »(٣)، ﴿ **وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا** ﴿٧٢﴾ ﴾ [الفرقان] .

لقد كان المسلمون الأوائل أحرص الناس على أوقاتهم « فيقول الحسن البصرى : أدركت أقواماً كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصاً على دراهمكم ودنانيركم » (٤) ، ومن هنا كان حرصهم البالغ على عمارة أوقاتهم بالعمل الدائب ، والحذر من أن يضيع شىء منه فى غير جدوى .

بل لقد كانوا يحرصون كل الحرص على ألا يمر يوم أو بعض يوم أو برهة من الزمان وإن قصرت ، دون أن يتزودوا منها بعلم نافع ، أو عمل صالح (٥) ، ويتبين تقديرهم لقيمة الوقت من خلال قراءتنا لكتب الحسبة ، فيقول الشيرزى فى الحسبة على الأساكفة : « ولايماطلون أحداً بمتاعه ، إلا أن يشرطوا لصاحبه إلى يوم معلوم ، فإن

---

(١) المرجع السابق ، ج٣ ، ص٩٦ (كتاب البيوع) .

(٢) محمد الغزالى : خلق المسلم ، مرجع سابق ، ص ٢٣٨ .

(٣) محمد يوسف موسى: الأخلاق فى الإسلام ،مؤسسة المطبوعات الحديثة ، القاهرة ١٩٦٠ ،ص ١٢٨ .

(٤) يوسف القرضاوى : الوقت فى حياة المسلم ، دار الصحوة ، القاهرة ، د . ت ، ص ١٤ ، ١٥ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٤ .

الناس يتضررون بالتردد إليهم وبحبس الأمتعة عنهم » [١].

وفى الحسبة على الخياطين يقول ابن الإخوة : « ويمنعهم المحتسب أن يماطلوا الناس بخياطة أمتعتهم ويتضررون بالتردد إليهم وحبس الأمتعة عنهم »[٢] ، يتبين لنا مما سبق فرضية احترام العامل المسلم لميعاده ووقته الذى وقته لصاحب المتاع ، وإلا رفع أمره إلى المحتسب .

وفى الحسبة على أصحاب السفن « المراكب » يقول ابن الإخوة : « ويمنعهم المحتسب من السير وقت هبوط الرياح واستمرارها »[٣] ، وفى هذا ما يؤكد تقدير المسلمين لعنصرى الوقت والظروف .

إننا « فى العالم الإسلامى الآن نعرف شيئا يسمى (الوقت) ولكنه الوقت الذى ينتهى إلى عدم ؛ لأننا لاندرك معناه ولاتجزئته الفنية ؛ لأننا لاندرك قيمة أجزائه من ساعة ودقيقة وثانية ،ومن المؤكد أننا بتحديد فكرة الزمن، يتحدد معنى التأثير والإنتاج ، وهو معنى الحياة الذى ينقصنا » [٤].

« إن الفرق شاسع بين موقف الإسلام من الوقت ، وهو الموقف الذى يحصى كل دقيقة ، ويحاسب عليها ، وبين أسلوب المسلمين فى الحياة وهو الأسلوب الذى يتفنن فى إهدار الوقت بكل الطرق . ففى الوقت الذى تفيدنا به التقارير أن عطاء الإنسان الأوربى اليومى يتجاوز السبع ساعات تفيدنا التقارير الرسمية نفسها أن عطاء الإنسان المسلم لايتجاوز ثلاثين دقيقة »[٥] ، والفاحص المدقق لأحوال عالمنا الإسلامى الحالى يمكنه أن يلاحظ بسهولة كيف يقضى بعض شبابنا وقت فراغه فى لعب الورق والنرد والدمينو والشطرنج وما ماثلها من ناحية ، أو يتفرجون علـى بعض الأنشطة الرياضية (وخاصة كرة القدم) ،دون ممارستها ، من ناحية ثانية ، أو يتسكعون فى الطرقات والأسواق ممارسين أنواعا من الشغب [٦].

وفى هذا ضعف إيمان وجهل بالشريعة ؛ ذلك « لأن المؤمن أعمق الناس إحساساً بقيمة الوقت : إن الله سائله يوم الجزاء عن عمره فيما أفناه ؟ وعن شبابه فيما أبلاه ؟ فهو لهذا يضن أن يضيع فى عبث أو يبعثر فى مهب الرياح ؛ لأنه رأس ماله الوحيد ،

---

(١) عبد الرحمن الشيرزى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، مرجع سابق ، ص ٧٢ .

(٢) ابن الإخوة : معالم القربة فى أحكام الحسبة ، مرجع سابق ، ص ١٣٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٢ .

(٤) مالك بن نبى : شروط النهضة ، مرجع سابق ، ص ١٤٠ .

(٥) يوسف القرضاوى : الوقت فى حياة المسلم ، مرجع سابق ، ص ٣ .

(٦) عبد المنعم محمد بدر : « اللاتطوعية وأزمة التنمية فى العالم العربى الإسلامى » مجلة المسلم المعاصر ، مرجع سابق ، ص ١٣٠ .

فكيف يضيعه ويبقى صفر اليدين ؟

إن المسلم يخشى أن تنفلت الأيام من يديه خاوية من العمل والإنتاج ، فلا يؤخر عمل اليوم إلى الغد ؛ لأن للغد عمله الذى يزحمه فلا يتسع لعمل غيره من الأيام . وهو حريص على أن يطيل حياته ـ بعد موته ـ يطول أعماله أنه يحرص أن يخلف وراءه علما نافعاً أو عملاً طيباً » (١).

مراقبة الله فى العمل :

« يدعو الإسلام إلى مراقبة الله عز وجل فى كل شأن من شئون الحياة سواء فى مجال الشعائر أوالسعى على الرزق ، ويشير إلى أسباب العزة ووسائلها لمن يطلبها عند اللّه: القول الطيب ، العمل الصالح ، القول الطيب الذى يصعد إلى اللّه فى علاه، والعمل الصالح يرفعه الله إليه ويكرمه بهذا الارتفاع » (٢).

يقول الله تعالى : ﴿ **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ** ﴾[فاطر: ١٠].

وقد يستطيع الإنسان أن يفلت من مراقبة صاحب العمل ، وعقوبة القانون ، ولكنه لن يفلت من مراقبة الله وعقابه . ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)** ﴾ [الكهف] ، لأن الحق ـ سبحانه وتعالى ـ مطلع علينا ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧)** ﴾ [المجادلة] .

ويركز رسول الله ﷺ فى حديث طويل على مراقبة الله تعالى فيقول: « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » (٣).

فالمسلم عليه أن يستحضر « أن الله مطلع عليه يرى كل ما يعمل »(٤). فإذا استحضر هذا المعنى ، ظهر عمله على أفضل صورة ممكنة .

الإتقان :

الإتقان هو المعيار الذى نزن به قيمة العمل من حيث السمو والضعة ، ونحن نعلم أن الناس ليسوا سواء فى أداء أعمالهم ، إذ بعضهم يرتفع بعمله ، فيرفعه عمله ،

---

(١) يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة ، مرجع سابق ، ص ٣ .

(٢) سعد المرصفى : العمل والعمال بين الإسلام والنظم الوضعية المعاصرة ، مرجع سابق ، ص ٢٥١ .

(٣) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٢٠ (كتاب الإيمان).

(٤) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٢١٨ .

وبعضهم الآخر يهمل فيه ويخرجه ناقصاً أو معيباً وليس من الضرورى أن يكون ذلك عن قصد ، بل كثيراً ما يكون عن إهمال وسوء تعليم ، ولاشك إذاً فى أن قيمة العمل تتدرج فى مسلم من حيث الإتقان والكمال ، والنقص والإهمال ، ولكن العمل المتقن الذى يحسن صاحبه عمله وإخراجه يكون كالجوهرة تتألق فتبهر الأبصار (١).

ومن هنا نجد الرسول ﷺ يدعو إلى الإحسان فى كل عمل وهو المعنى المرادف لمعنى الإتقان ، فيقول ﷺ : « إن الله كتب الإحسان على كل شىء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » (٢). فإذا كان الإحسان مطلوباً فى الأعمال التى لاتترتب عليها نتائج مؤثرة فى الجماعة فأحرى به أن يطلب فى الأعمال ذات القيمة الاجتماعية ، « فالقتل فى الجهاد فى سبيل الله والذبح تنتهى آثارهما أو تكاد بإتمام إنجازهما ، ومع هذا لابد من الإحسان فيهما ، رحمة من ناحية ، وإكساباً للإنسان خلق الإتقان من ناحية أخرى » (٣).

ويقصد بإتقان العمل « إحكام أدائه بحيث يكون مستوفياً للمواصفات المطلوبة وتفاوت درجات الإتقان فى الأعمال ، بحيث تقل درجة الإتقان كلما قلت المواصفات المطلوبة فى الأداء ، وعدم إتقان العمل يؤدى إلى إلحاق الضرر بالعامل نفسه ؛ لأنه سوف يؤدى إلى زعزعة الثقة فى عمله وتقييم أجره فى المدى الطويل على أساس عمله الهابط، ويؤدى كذلك إلى إلحاق الضرر بصاحب العمل ؛ لأنه يدفع أجراً لايقابله عمل متقن .

كما يؤدى إلى انصراف المتعاملين معه عن خدماته أو إنتاجه ، وقد يمتد الضرر إلى الوطن ككل ، فإذا كان الإنتاج عبارة عن سلع قابلة للتصدير ، وكانت غير متقنة انصرف عنها المستوردون ، وبحثوا عن أسواق أخرى لاستيراد سلعهم منها مما يؤثر على توازن ميزان المدفوعات للدولة المصدرة التى لم يتقن عمالها منتجاتها » (٤).

إن من أسباب عدم الإتقان نقص الخبرة أو قلة العلم ، ومن كان هذا شأنه لاتفيد أمانته فى الوفاء بعمله كطبيب قليل الحظ من عمله ، فهو لن يستطيع أداء واجبه على الوجه الأكمل مهما صدقت نيته .

والعلم سبب من أسباب الإتقان وقد « ذكر أن عاملاً عمل عملاً تجاوز فيه ، ودفعه

---

(١) سعيد إسماعيل على: « العمل فى الفكر التربوى الإسلامى » دراسات فى التربية الإسلامية،مرجع سابق ، ص ٣٦ .

(٢) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٧٢ .

(٣) سعيد إسماعيل على : « العمل فى الفكر التربوى الإسلامى » دراسات فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٣٦ .

(٤) قطب إبراهيم محمد : الإطار الأخلاقى لمالية المسلم ، مرجع سابق ، ص ٤٨ ، ٤٩ .

لصاحبه فلم ينم ليلته كراهة أن يظهر عدم الإتقان فى عمله فشرع فى عمل آخر بدله حتى أتقن مايقتضيه واجب العمل ، ثم غدا به إلى صاحبه ، فأخذ الأول وأعطاه الثانى، فشكره فقال : لم أعمل لأجلك بل قضاء لحق العمل ، كراهة أن يظهر من عملى عمل غير متقن ، فمتى قصر العامل فى العمل فقد كفر ماعلمه الله ، وربما سلب الإتقان ، وعليه أن يحسن عمله ويتقنه » (١).

ولقد تشعبت أنواع العمل فى هذا العصر بتشعب العلوم والفنون والصناعات التى لاتكاد تعد ، وصارت طوائف العمال فى الصناعة والتجارة والزراعة تخضع للتوجيه العلمى والفنى الذى ينمو دائماً ، وصارت الكفاية الفنية هى سلاح كل عامل ، واتسع نطاق التنافس بين الشعوب والدول فى وقت السلم فى ميادين الأعمال المختلفة وصار السبق لمن يتقنون الأعمال ويغارون عليها ويجودونها ويطورونها إلى الأحسن والأفضل»(٢).

الشعور بالمسئولية :

« إن مركز الدائرة الحضارية هو الإنسان وأهم خصائصه هو العقل ، والعقل يعنى الكرامة الإنسانية واستقلال الشخصية ، ويعنى الحرية ، ويعنى المسئولية » (٣). فالإنسان مسئول فى هذه الدنيا ليس فى الآخرة ، وهو مسئول عن كل أعماله سواء كان فرداً فى المجتمع أو رئيسا أو رباً لعائلة أو مديراً أو موظفاً أو عاملاً (٤). يقول تعالى: ﴿ **وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** (٩٣) ﴾ [النحل] أى : « يسألكم الله تعالى يوم القيامة عن جميع أعمالكم فيجازيكم عليها على الفتيل والنقير والقطمير » (٥) ، ويقول تعالى: ﴿ **أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى** (٣٦) ﴾ [القيامة] أى: « ليس يترك فى هذه الدنيا مهملاً لايؤمر ولاينهى ولايترك بدون حساب فى الآخرة » (٦)،ولما كان الإنسان لديه الاستعداد والقدرة على أن يقوم بعمل فيه صلاح المجتمع وسعادة البشر ، وكذلك على أن يقوم بعمل فيه إفساد المجتمع وإشقاء البشر ، أبرز القرآن الكريم مبدأ « المسئولية الأخلاقية » فالإنسان مسئول عن عمله فرداً أو جماعة،لايؤخذ واحد بوزر واحد ولا مجتمع بوزر مجتمع(٧)،

---

(١) سعد المرصفى : العمل والعمال بين الإسلام والنظم الوضعية المعاصرة ، مرجع سابق ، ص ٢٤٦ .

(٢) عبد المنعم خلاف: المادية الإسلامية وأبعادها ،مرجع سابق، ص١٦٥ .

(٣) محمود حمدى زقزوق : الحضارة فريضة إسلامية ، مجلة المسلم المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٣١ .

(٤) حسين آتاى : النظام الأخلاقى فى السياسة المالية ، مجلة المسلم المعاصر ،مرجع سابق ، ص ٦٩ ، ٧٠.

(٥) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٥٨٥ .

(٦) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٥٨٥ .

(٧) سعيد إسماعيل على : « العمل فى الفكر التربوى الإسلامى » دراسات فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق، ص ١٥ .

يقول تعالى: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١)﴾[الطور]، ويقول أيضا : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٤)﴾ [البقرة]، والعمل النافع الصالح هو محور المسئولية التى حملها الإنسان يوم استخلفه الله فى الأرض ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٢٩)﴾ [الاعراف]. ومن خلال التربية الإسلامية يدرك المرء أن استخلاف الله للإنسان وإن كان تشريفاً له فهو فى الوقت ذاته يلقى عليه عبئاً ومسئولية لامهرب له من القيام بتبعاتها ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٤)﴾ [يونس] . وقيام الإنسان بهذه المسئولية هو موطن مسائلته ، ونوعية عمله هى الفيصل يوم الحساب : ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠)﴾ [غافر] .

والتربية الإسلامية إذ تعد المرء وتؤهله ليكون قادراً على القيام بمهمة الاستخلاف وتحمل تبعات المسئولية الكبرى ، فهى تعده أيضا ليكون مدرباً للكيفية التى يجب أن يكون عليها استخدامه الأمثل للوسائل التى زوده الله بها ، والتى يستطيع أن يرتفع بها إلى أفق السمو للقيامة بتبعات الاستخلاف فيفوز برضا الله وحسن مآب (١).

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ [آل عمران: ٣٠] والذات الإنسانية مزودة أيضاً بالوسائل التى يستطيع بها أن تهبط إلى حضيض البهيمية حيث يريد الشيطان، فيحق عليها سوء المصير ﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١١)﴾ [النساء] . والإنسان يقبل هذه المرتبة أو تلك من خلال تفكيره وعقله وسمعه وبصره ، تلك الوسائل التى منحه الله إياها ، ليكون قادراً على القيام بمهمة الاستخلاف والتى صارت هى أيضا جزءاً من مسئوليته ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً (٣٦)﴾ [الإسراء] .

ويقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧)﴾ [الانفال] .

وفى رأى بعض الباحثين : « أن الأمانة المشار إليها هنا هى الابتلاء بتبعة التكاليف وحرية الإرادة ومسئولية الاختيار ؛ وذلك لأن كل الكائنات عدا الإنسان مسيرة بمقتضى سنن كونية تخضع لها على وجه التسخير والامتثال دون تحمل لتبعة ما تعمل ، بينما الإنسان وحده هو المسئول عن عمله المحاسب عليه ثواباً وعقاباً ، ولا أحد يحمل عنه

(١) سامية يوسف محمد صالح : مبادئ التربية البيئية فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

تبعة عمله ولايفوت بغير جزاء » (١) ، وفى هذا يقول تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١٥) ﴾ [الجاثية] .

فالإنسان فى الإسلام مخلوق من خلق الله ، إلا أنه مخلوق مسئول ذو رسالة هى: الاستخلاف ، حيث استخلفه الله فى الأرض، وسخر له ما فيها من نعم ، وزوده بالمواهب التى تعينه على الخلافة وتيسر له طيبات الحياة كلها ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٦٤)﴾ [غافر]، من الطبيعى بعد ذلك أن يتحمل كل إنسان نتيجة عمله هو ،وما قدمته يداه ،ولايحمل وزر غيره ،كما أن غيره لايحمل وزره هذا هو الإنسان المسئول إذ لايقبل بعد أن يهيئ له الله كل هذه الإمكانات ،ويكرمه ، ويسخر له كثيراً من مخلوقاته أن يكون غير مسئول ﴿ قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (١٠٤)﴾ [الأنعام] ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (١٠٨)﴾ [يونس] ، ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤) مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥)﴾ [الإسراء] .

وبين لنا رسول الله ﷺ أن كل إنسان مسئول فى حديثه الجامع « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته » فقال : وحسبت أن قد قال : والرجل راع فى مال أبيه وهو مسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته (٢) .

وقد وردت لفظة (مسئول) فى أربع آيات قرآنية،(ومسئولون)فى آية واحدة (٣) ، والآيات الأربع التى ورد فيها لفظة (مسئول)، ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (٣٤) ﴾ [الإسراء] ، ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا (٣٦) ﴾ [الإسراء] ، ﴿ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا (١٦) ﴾ [الفرقان] ، ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (١٥) ﴾[الأحزاب]. وقد وردت لفظة

(١) عائشة عبد الرحمن : مقال فى الإنسان ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٥٨ .

(٢) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٦ .

(٣) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص ٤٢٩ .

(مسئولون) فى قوله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ (٢٤) ﴾ [الصافات]. والإنسان فى الإسلام مسئول عن أعماله مسئولية شخصية ، حيث لايشاركه أحد حمل تبعاتها ، ولايملك أحد درء ما حاق به من عذاب جزاء إفساده فى الأرض ﴿ يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ (١٩) ﴾ [الانفطار] فالمسئولية فى النهاية مسئولية فردية ، وفى ذلك يقول تعالى : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (١١١) ﴾[النحل] ، ﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥) ﴾ [مريم] ، ﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) ﴾[عبس] ، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) ﴾[المدثر] ، ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (٧٠) ﴾ [الزمر] ، ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٥١) ﴾ [إبراهيم] ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) ﴾ [الحشر] ، ﴿ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥) ﴾[الانفطار] ، ﴿ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ (١٤) ﴾ [التكوير] .

وتحرص التربية الإسلامية على تعميق شعور المسلم بهذه المسئولية وتأكيد فحواها فى نفسه ، فهى تكثر من تذكير الإنسان بالنعم التى أنعم الله بها عليه ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ(٧) ﴾ [المائدة] ومن رحمة الله بعباده أنه لم يكلفهم بمسئولية أكثر مما يطيقون ، ومن ثم فمسئوليتهم كاملة عما يعملون ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦) ﴾ [البقرة].

والخلاصة : « إن كل واحد مسئول حسب قدرته المادية والمعنوية ، وكذلك هو مسئول حسب وسع نفوذ دائرته فى الأمور الاجتماعية والتجارية والسياسية ، ونظام الشريعة يشملهم جميعاً دون تفرقة وتمييز ، وعندما طلب الشرع من الأفراد اتباع الموازين والمعايير فى كسب الحلال ألقى التبعة عليهم فى تصرفاتهم فيما يكسبون من المال والثروة والمهارة والصنعة ، وكلفهم بمحاسبة أنفسهم أولاً ثم بمحاسبة من يلى أمورهم ، وإذا قصروا فى واحد منها أو فى كليهما يختل نظام المجتمع وسوف يحاسبهم الله تعالى إما فى الدينا وإما فى الآخرة أو فى كليهما معاً » (١) .

---

(١) حسين آتاى : النظام الأخلاقى فى السياسة المالية ، مجلة المسلم المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٧١ .

إن الشعور بالمسئولية لدى المسلم يجعله يحاسب نفسه ، فينتج ليس الإنتاج فقط ولكنه الإنتاج المتقن الذى سيسأل عنه .

العمل التعاونى :

التعاون أساس تقدم الأمم ونهضتها ؛ لذلك أمر القرآن الكريم بالتعاون وشجع العمل التعاونى مادام فى سبيل الخير ، يقول تعالى: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة] ، وفى هذا أمر من الله لعباده بالمعاونة بينهم على فعل الخيرات وترك المأثم (١).

« والبر كما هو معروف اسم جامع لكل خصال الخير ، ففى الأمر بالتعاون أمر بأن يعين الغنى الفقير ، ذا الحاجة المحتاج إلى مساعدة ، وأمر لذى العقول الرشيدة بتوجيه ماهو فى حاجة للنصح والإرشاد إلى طريق الخير ، وأمر بأن يعين الصانع الماهر أخاه المتوسط المهارة ، إلى آخر أنواع التعاون فى سبيل الخير» (٢) ، أما الاشتغال بالشعائر والتظاهر بالتقوى ،مع الضن بالعون وحجب الخير عن الناس فهو دليل على وهن الإيمان وكذب الادعاء ،وخلل القصد،مما يورد صاحبه موارد الهلاك.وما أحوج مجتمعنا اليوم إلى هذا اللون من التعاون بين الأفراد وأن يقوم كل فرد بواجبه تجاه الآخرين .

ومما تجدر الإشارة إليه ، أن التعاون الجماعى فى العمل أصبح ضرورة ملحة ؛ ذلك لأن الجهد الفردى مهما كان بارعاً فهو محدود فى نتائجه إذا قيس بالجهد الجماعى؛ ولذلك فالإسلام يرسى دعائم العمل التعاونى بالقول والعمل فى كثير من المواقف إيماناً منه بأن سعادة الفرد لاتكون إلابسعادة المجموع ، فهو يعلن ـ وعلى سبيل المثال ـ أن « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » (٣).

والرسول عليه الصلاة والسلام يهدف من وراء هذا إلى « إقامة نظام اجتماعى تسوده روابط الأخوة والود كأفراد الأسرة الواحدة ، أخوة لاتحصرها حدود جغرافية . ولاتحتكرها عائلة أو قبيلة أو جماعة معينة ، وفى هذا يوجه الله ـ سبحانه وتعالى ـ الخطاب إلى نبيه الكريم ليعلن رسالته للناس كافة » (٤).

﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ**

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٦٥ .

(٢) محمد يوسف موسى : الأخلاق فى القرآن ، مرجع سابق ، ص ٦٥ .

(٣) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ١٢ (كتاب الآداب) .

(٤) محمد عمر شبرا : النظام الاقتصادى فى الإسلام ، مجلة المسلم المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٨٣ .

تَهْتَدُونَ (١٥٨) ﴾ [الأعراف] .

والنتيجة الطبيعية لهذه الأخوة يظهرها التعاون المتبادل والمساعدة المتبادلة لاسيما بين المسلمين الذى توحدهم العقيدة ، بالإضافة إلى الأصل المشترك مع غيرهم من الناس .

لذا ينبغى أن تهيئ المدرسة الفنية ما ينمى جوهر هذه الروح التعاونية ، ويقتضى ذلك بالنسبة للمنهج الدراسى أن يوفر فرص العمل الجماعى فى شكل مشروعات تبرز قيمة العمل التعاونى بعيدا عن الفردية ؛ لأن تربية مثل هذه العادات لها قيمة كبيرة فى مجال الإنتاج (١) ، كما ينبغى إحلال العمل التعاونى والتخطيط المشترك فى أساليب التعليم بالمدرسة محل العمل الفردى ، والتنافس غير المرغوب فيه ، بما يستلزمه ذلك من تهيئة الفرص التعليمية التى يتعاون فيها المتعلمون لتنفيذ مشروعات مشتركة معينة أو الاشتراك فى إنتاج معين (٢).

الخلاصة أن المسلم « إذا أراد أن ينعم فى دنياه وأخراه ، عليه أن يراعى آداب الدين فى طلب الرزق وأن يضع ماله فى ما يجلب له وللناس الخير » وللوصول إلى أهداف المجتمع القائم على الأخلاق والأخوة والتعاون لابد من وجود نظام تربوى يغرس هذه القيم فى نفوس النشء ، وينظر إليه كإلزام أدبى للمجتمع ، ومهمته أساسية من مهام الدولة الإسلامية ، تعمل على تنفيذها بكل جد وإخلاص(٣).

إن المسلم إذا التزم بأخلاقيات المهن والحرف فى الإسلام كان نموذجاً للدين يدين به ويدعو إليه ، أو نمطاً حياً متحركاً للفكر الإسلامى الذى يملأ قلبه وعقله ، ويصدق سلوكه فى الحياة مع نفسه أو مع الآخرين .

وهكذا نجد أن الآيات البينات والأحاديث الشريفة التى توضح وتؤكد على القيم الخيرة من اتجاه النية فى العمل إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ وتجنب النجش ، والصدق ، وتجنب الغش والحلف والاحتكار ،والوفاء بالكيل والميزان والعهد ،واتقاء الشبهات ، والسماحة فى البيع والشراء ،وإنظار المعسر ،والأمانة وتجنب أكل أموال الناس بالباطل، وكذا النهى عن المنابذة والملامسة عند البيع ، والتطوع بدون أجر فى ظروف خاصة .

كل هذه القيم إذا ما اتبعها مجتمع من المجتمعات يأخذ بأسباب التنمية ويخطط لعمليات التقدم والتمدين ،فإنه يعمل وبلاشك فى إنجاز مشروعاته وينفذ خططه فى جو اجتماعى ومناخ تعاونى ، خاصة إذا عرفنا أن الإنسان هو هدف ووسيلة التنمية ، فمثل

---

(١) محمد كمال طه الحينى: الاتجاه البوليتيكنيكى فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٤٥ .

(٢) إبراهيم عصمت مطاوع : أصول التربية ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣م .

(٣) على عبد الحليم محمود : المسجد وأثره فى المجتمع الإسلامى ، مطابع دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٦، ص ١٤ .

هذه القيم هى الأخرى هدف من أهداف التنمية ، تعمل المجتمعات الإسلامية على تحقيقها والالتزام بها فى شكل متوازن لا تطغى فيه الماديات على المعنويات .

بل « يعتبر الحفاظ على القيم الإسلامية هدفاً من أهداف التنمية كما تعتبر القيم الإسلامية وسيلة فعالة لتحقيق التنمية المتوازنة المتكاملة » (١).

(١) عبد الهادى الجوهرى : القيم الإسلامية والتنمية ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،المملكة العربية السعودية ،العدد الخامس ، ١٤٠١ هـ،ص٥٢٣ .

obeikandl.com